الكتاب للجميع
١٤٨

السفير

مجاناً مع السفير

الموت والعذراء



أرييل دورفمان

ترجمة علي كامل

المدى

الكتاب للجميع

١٤٨

أرييل دورفمان

المَوْت وَالعَذراء

ترجمة علي كامل

طبعة خاصة
توزّع مجاناً مع جريدة (السفير)

دار المدى للثقافة والنشر

٢٠١٤

مجاناً مع جريدة السفير

تصدر عن شركة السفير ش.م.ل.

السفير

رئيس تحريرها: طلال سلمان

المدير العام: ياسر نعمة

المدير المسؤول: غاصب المختار

الكتاب للجميع

التحرير والإدارة: شارع منيمنة / الحمراء/ بيروت
فاكس ٣٥٠٠٠٥ - ٧٤٣٦٠٢
ص.ب: ٥٠١٥/١١٣/الحمرا - بيرون ١١٠٣٢٠١٠
انترنت http: //www.assafir.com
Coordinator@assafir.com

- تمّت الطباعة في مطابع جريدة السفير
- تلفاكس ١/٢/٣/٤ - ٧٤٢٦-٩٦١+

سلسلة شعبية تعيد إصدارها

دار المدى للثقافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة والتحرير

فخري كريم

بيروت – الحمراء – شارع ليون – بناية منصور

الطابق الأول – تلفاكس: ٧٥٢٦١٦ – ٧٥٢٦١٧

www.daralamada.com Email: info@daralmada.com

سورية – دمشق ص.ب.: ٨٢٧٢ أو ٧٢٦٦ – تلفون:

٢٣٢٢٢٧٥ – ٢٣٢٢٢٧٦ – فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria

P.O. Box: 8272 or 7366. - Tel: 2322275 - 2322276 - Fax: 2322289

بغداد – أبو نواس – محلة ١٠٢ – زقاق ١٣ – بناء ١٤١

مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

Email: almada112@yahoo.com

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى أبناء بلدي في العراق، الذين خرجوا تواً من ظلمة نفق كابوس الدكتاتورية، لكي يتنفّسوا ضوء الحرية...

علي كامل

مقدِّمة المترجم

"أنا ذلك الكذاب الذي يقول
الحقيقة دائماً"

جان كوكتو

لم تستطع سنوات المنفى الثقيلة والخانقة أن تثبط آماله الكبيرة، ولا المكان أن يطمس هويّته، فقد قرّر لحظة وصوله أمريكا، لاجئاً، أن يجعل من كتاباته سلاحاً، ومن غرفة مكتبه الصغير، ورشة عمل يومي وساحة حرب ضد من شرَّدوه.. ضد من خنقوا صوت الحرية في بلاده.. ضد وحشية وبربرية الاستبداد في كل مكان.

على أحد جدران غرفة مكتبه المعتم، كان دورفمان يعلّق صورة مواطنه بابلو نيرودا، كانت تضيء له وحشة سنوات الاغتراب، وبالقرب منها كتب بخطِّ يده عبارة، كان استعارها من أحد معارفه القدامى، الروائي الأرجنتيني "هارولد كونتي" سلفه في المنافي. تقول العبارة: "هنا ساحة الحرب، ساحة معركتي، ولن أغادرها أبداً".

كتب دورفمان الشر والرواية والقصة القصيرة والنصوص المسرحية والسينمائية والدراسات النقدية في الأدب والفن(*)، وقد ترجمت نتاجاته تلك إلى ما يقرب الخمسين لغة..

شغل وما يزال موقع بروفيسور في جامعة ديوك في نيويورك لتدريس أدب أمريكا اللاتينية، إضافة إلى نشاطه كمحرِّر دائم في صحف واسعة الانتشار أمثال نيويورك تايمز، لوس أنجلوس تايم، ناشينال، فيليج فويس، وغيرها. عُرف أيضاً ناشطاً بارزاً عن حقوق الإنسان.

عاد دورفمان وبرفقته زوجته وولداه إلى تشيلي عام ١٩٩٠ بعد زوال بينوشيت وقيام السلطة الوطنية المنتخبة، ومنذ ذلك التاريخ وهو موزّع بين بلاده والولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا.

(لا بد لأحد ما أن يبقى حياً، ليروي ما حدث)

لقد تم تصفية الكثير من أصدقاء دورفمان ورفاقه في ذلك اليوم الفاجع الرهيب، يوم الانقلاب على حكومة أليندي، في الحادي عشر من سبتمبر ١٩٧٣ ساعة اقتحام قوات بينوشيت قصر لامونيدا.

أما هو فقد نجا بأعجوبة من موت محتَّم!

كان دورفمان يشغل موقع بروفيسور لمادة الأدب والنقد محاضراً في جامعة تشيلي. وكانُ رشِّح في عام ١٩٧١ مستشاراً ثقافياً ضمن هيئة المستشارين الخصوصيين للرئيس أليندي في قصر لامونيدا.

في مقابلة أجراها معه داني بوستل في مجلة The Progressive الأمريكية عام ١٩٩٨ قال دورفمان:

(.. كان عليّ أن أكون في قصر لامونيدا في ذلك اليوم الفاجع. كانت هناك قائمة بأسماء الأشخاص الذين ينبغي تواجدهم في الأحداث أو الأوقات الطارئة، وكان إسمي واحداً من تلك الأسماء، لكن أحداً لم يتصل بي ذلك اليوم، وتركوني أستمتع بنومي ذلك الصباح.

لم أفهم السبب مطلقاً!!

وبعد ثلاث سنوات، وبطريق الصدفة، قابلت الشخص الذي كان مسؤولاً عن تنظيم تلك القائمة آنذاك وإسمه فرناندو فلوريس، وفي ذلك اللقاء فقط عرفت سر بقائي حيّاً!!

لقد أخبرني فرناندو أنه شطب إسمي من قائمة المناوبة تلك في ذلك الصباح، وحين سألته عن السبب، صمت قليلاً وغار عميقاً، عميقاً، كما لو أنه أراد أن يسترجع تلك اللحظات المرعبة ثانية.

أخيراً، تطلَّع نحوي قائلاً: "حسناً.. كان لا بدّ أن يبقى أحدٌ ما حيّاً، ليروي ما حدث"..

لم تكن ثمة معجزة دينية وراء بقائي حيّاً، ولا أؤمن بأن قوى غيبيّة هي التي أنقذتني من ذلك الموت المحتّم. لكنني موقن بشيء إسمه قدر الإنسان أو هو ذلك الشيء الذي يحيل الأحداث التي تجري في حياة الإنسان، إلى شيء ضروري لا بدّ من حدوثه. ما فعلته أنا، حسب ظنّي، هو أنّني أَحَلت نفسي إلى راوي حكايات.

وهكذا أمضيت الخمسة والعشرين عاماً الأخيرة أروي قصة شيلي بطرق مختلفة.

الكثير من كتاباتي تتحدث عن إنسان تنتابه فكرة ما تلازمه على نحو دائم، وهي أنه يعيش كالشبح. وأنّ كلّ شيء ما هو إلّا مجرّد وهم. هناك أناس يموتون من أجل أن نستمر نحن على قيد الحياة. فلزاماً علينا أن نقدِّم لهم شيئاً ما. كيف يمكننا أن نفعل ذلك؟ كيف يمكننا أن نتحدّث إليهم، نحكي قصصهم، ومن أجلهم، بل وعلى الرغم منهم؟ ومع ذلك، فإن قصصي هي ليست قصصاً عن الموت فقط. كلا، إنها قصص عن الحياة، والتغنّي بها أيضاً.

استوحى الكاتب عنوان مسرحيته "الموت والعذراء" من رباعية شوبرت الوترية التي تحمل ذات العنوان، وهي قصيدة مغناة من تأليف ماتياس كلاوديوس ١٧٤٠ – ١٨١٥. أما الثيمة فقد استقاها من خبر كان قرأه في صحيفة تشيلية، يحكي قصة رجل أنقذ حياة شخص انقلبت عربته في الطريق العام وكادت تودي بحياته. وأثناء دعوة الرجل لذلك الغريب ضيفاً إلى منزله، تحدث المفاجئة المروعة.

ففيما هما يتحدثان، تميز الزوجة نبرة صوت ذلك الرجل الغريب، وتكتشف أنها نفس نبرة الرجل الذي عذّبها واغتصبها في السجن قبل سنين. عند ذاك تقرّر سجنه في المنزل وإخضاعه إلى محاكمة شخصية، تنتزع خلالها اعترافاً كاملاً منه بتلك الجريمة، ثم تحكم عليه بالموت!.

يقول دورفمان: ".. لقد تأملت تلك الحادثة عميقاً، وبدأت أستكشف في مخيلتي، بشكل خجل ومتردِّد، حالة دراماتيكية أصبحت فيما بعد نواةً لمسرحية "الموت والعذراء".

كنت أجلس بين الحين والآخر أفكر بهذا الموضوع وأخربش على الورق ما تخيّلته أن يكون في يوم ما رواية!. لكن، بعد جلسات عدة وبضع صفحات غير مقنعة عدلت، خائباً، عن الفكرة كلّها تماماً، بسبب أن ثمة شيئاً ما كان غائماً، شيء ما جوهري وضروري في الحكاية كان مفقوداً . فمثلاً لم أستطع أن أستكشف شخصية زوج تلك المرأة. ترى من هو؟ وكيف ستكون استجابته إن صدّقها؟

لم تكن واضحة عندي أيضاً، الوقائع والظروف والإلتباسات التفصيلية، تلك التي ظهرت من خلالها تلك الحكاية. كذلك كان ثمة غياب للعلاقات الرمزية والدلالية بين العام والخاص. بمعنى آخر، ما نوع علاقة هذه الحكاية بالوضع العام للحياة في البلاد نفسها.

لم أفهم أيضاً، صورة العالم الذي كان يقف خلف تلك الحدود الضيِّقة والخانقة والمغلقة لمنزل تلك المرأة!".

هكذا ولسوء الحظ ظلَّت المسرحية تنتظر مكرهة مثل دورفمان نفسه لوقت طويل، لحين زوال النظام الديكتاتوري في البلاد عام ١٩٩٠ وعودة الكاتب وعائلته إلى تشيلي بعد نفي استغرق سبعة عشر عاماً. ففي زحمة الأحداث السياسية الجديدة والشائكة، عثر الكاتب على إجابات على تلك النقاط التي كانت غائمة في رأسه، واستطاع أن يمسك بالخيط الذي قاده أخيراً إلى الطريقة التي ستروى بها تلك الحكاية.

(ديموقراطيات في دور النقاهة)

كان الوضع السياسي في تشيلي إبان زوال نظام بينوشيت الفاشي وقيام السلطة الوطنية المنتخبة، ينذر بإحتمال وقوع حرب أهلية في البلاد، بسبب الإجراءات المؤقتة التي اتخذتها الحكومة الجديدة، والتي في مقدِّمتها الإبقاء على الكثير من رموز النظام السابق في مواقع خطيرة وحساسة، مثل المؤسسات القضائية والبرلمان والمجالس البلدية وكذلك المؤسسات الإقتصادية، ناهيك عن ترك الكثير من أزلام السلطة من العسكر ورجال الأمن والمخابرات طليقين دون عقاب!

كان ذلك قد أثار غيظ الناس وضغينة الناس، خصوصاً أولئك الذين ظلّ يسكنهم الخوف رغم سقوط الديكتاتور، والذين أحالتهم زنازين الديكتاتور إلى مجرّد أشباح، أو أنصاف بشر. لقد أثارت فيهم تلك الإجراءات المؤقتة حقاً مخاوف عودة النظام القديم إلى السلطة. لكن واقع الأمر، إن الرئيس الجديد المنتخب – باتريسيو إيلوين – كان يسعى من خلال تلك الإجراءات، إلى تطبيق برنامج إصلاحي برغماتي للبلاد، ووضع حلول وسطية بشأن التعامل مع أدوات النظام القديم، خوفاً من تجدد الوضع الإرهابي، وتحت غطاء الديموقراطية هذه المرة، وخشية من قيام مذابح جديدة وعمليات ثأر شخصية، قد تقود البلاد فعلاً إلى حرب أهلية، وإلى فوضى قد تفقد البلاد الفرصة التاريخية، تفضي إلى عودة النظام الديكتاتوري ثانية إلى البلاد.

فلأجل تطبيق ذلك البرنامج قامت السلطة بتشكيل هيئة تحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان، تلك التي ارتكبت في زمن الديكتاتور بينوشيت

سميت بـ "هيئة ريتيج" والتي كانت تنتهي عقوباتها بالموت أو احتماله، شرط أن لا يُعلَن عن أسماء المجرمين أو تُجرى محاكمتهم علناً. علّق دورفمان حينها قائلاً: "استطاع الرئيس إيلوين حقاً أن يدير الدفّة بحذر وتبصّر وشجاعة، باتِّباعه مسلكاً وسطاً يوفَّق ما بين أولئك الذين يؤثرون دفن الخوف، خوف الماضي الإرهابي كلياً، وبين أولئك الذين يريدون الكشف عنه كاملاً".

قامت تلك اللجنة حينها، وكإجراء احترازي، بحجب أسماء أولئك المتهمين وعدم استدعائهم لحضور تلك المحاكم علناً، خشية وقوع صدامات دموية بين عوائلهم وأهالي المتهمين. لكن المأزق الأكبر هو أن تلك العدالة المنتظرة كانت منقوصة، فعلى الرغم من التجربة الموجعة لمئات الآلاف من ضحايا النظام القديم، وخصوصاً أولئك الذين استطاعوا أن ينجوا من الموت، إلا أن الكثير من حقوقهم الشخصية ضاعت وسط زحمة الأحداث العامة، حيث كل شيء كان مؤجّلاً، كسباً للوقت ورغبة في استتباب الوضع العام للبلاد.

هذه الخلفية السياسية هي التي قدّمت المفتاح الرئيسي لحل مغاليق الحكاية، وأجابت على تلك الأسئلة التي كانت أجوبتها مبهمة في رأس الكاتب.

يقول دورفمان: (... وفيما أنا أرقب بدهشة لجنة التحقيق تلك، وهي تقوم بإنجاز مهمّتها الشاقة والشائكة، بدأت أدرك شيئاً فشيئاً وببطء، أنني أعثر أخيراً على الإجابة على السؤال الملتبس للحكاية، ذلك السؤال الذي ظلّ يدوي في رأسي لسنوات عديدة. وكانت الإجابة، هي أن

إعتقال المرأة للرجل الغريب في منزلها وإخضاعه إلى محاكمة شخصية، لا يمكن أن تتم في دولة يتربّع على السلطة فيها ديكتاتور، كما حدث في زمن تلك الحادثة التي قرأتها في تلك الصحيفة، بل في دولة هي في مرحلة إنتقال إلى الديموقراطية، حيث جراح الكثير من التشيليين لم تندمل بعد، وحيث الكثير من الجناة ما زالوا أحراراً يتساءلون برعب عن المصائر التي تنتظرهم فيما لو تمّ الكشف عن جرائمهم.

لقد أصبح واضحاً أن الطريقة التي يمكن أن نجعل فيها من زوج تلك المرأة التي تعرّضت للإغتصاب والتعذيب، يعيش حالة رهان مروعة ومربكة، كونه زوجاً لتلك المرأة التي اعتقلت ذلك الرجل الغريب من جهة، وفي نفس الوقت عضواً في لجنة التحقيق من جهة أخرى! وهو الوضع المشابه إلى حد ما، إلى وضع المحامي العجوز الذي عيّنته الحكومة الجديدة لرئاسة هيئة التحقيق "ريتيج " في الواقع).

لم يتطلّب من دورفمان الوقت الطويل لاتخاذ قرار حاسم بشأن العمل، وكان القرار، هو أن الهدف هو كتابة نص مسرحي وليس رواية. وقد تمّ إنجاز "الموت والعذراء" عام ١٩٩١ وهو في نيويورك، لكنه أرجأ إرسالها إلى تشيلي، خوفاً من الاستجابات السلبية التي قد تثيرها أسئلتها المعبئة بخيارات صعبة، وهي ذات الأسئلة ذاتها التي كانت الشخصيات تسعى لأن تفهمها وتجيب على جملة منها، والتي كان التشيليون يطرحونها على أنفسهم في السر، ونادراً ما تجد من يرغب في طرحها علناً.

كيف يمكن للجلادين وضحاياهم العيش على أرض واحدة؟

هل في الإمكان معافاة بلد قاسى صدمة القمع والكبت، وما زال الخوف من إبداء الرأي سائداً في جنباته؟

كيف يمكن الوصول إلى الحقيقة، إذا كان الكذب قد أصبح عادة؟

كيف يمكننا الإبقاء على الماضي حيّاً، شرط أن لا نكون سجناءه؟ وكيف يمكننا أن ننسى ذلك الماضي دون المخاطرة بأن يتكرّر في المستقبل؟

ما هي عواقب كبح صورة ذلك الماضي، وثمّة حقيقة تهمس في آذاننا أو تتبح في وجوهنا؟

هل من المنطقي أن نضحي بالحقيقة، لكي نضمن الطمأنينة والأمن؟

هل الناس هم حقاً أحرار في بحثهم عن العدالة والمساواة، وتهديدات العسكر تلازمهم كالوسواس؟

هل يمكن تجنّب العنف في البلاد في ظروف كهذه؟ وكم نحن، جميعاً، ومن دون استثناء، مذنبون إزاء ما حدث لأولئك الذين قاسوا أكثر من غيرهم؟

ومن المحتمل أن المأزق الأكبر هو، كيف يمكننا مواجهة كل هذه المشاكل، دون أن يؤثر ذلك في تقويض الإجماع العام، ذلك الذي يرسخ الاستقرار للمضي في تحقيق الديموقراطية؟

كتب دورفمان يومها: "كنت أدرك جيداً أنني سأُنتقد بضراوة من قبل البعض في بلادي لأنني – هززت القارب بقوة – عبر تذكيري الناس

بوقع الإرهاب والعنف الذي قاسوه طوال تلك الفترة الطويلة، في وقت مطلوب منا جميعاً أن نكون حذرين إلى حد كبير.

لقد شعرت على أي حال، أنني كمواطن، ينبغي عليّ أن أتحلى بروح عالية للمسؤولية، وكفنان، علي أن أجيب على النداء المروّع والعاصف لشخصياتي، وأن أحطّم ذلك الصمت الذي كان يلقي بثقله على كاهلهم. كنت أتأمّل من كان يتابع كتاباتي بوّد من الأصدقاء، وخوفهم الجميل من أنني، ربما، أسهم ومن دون قصد، في خلق مأزق لتلك الديموقراطية الهشّة. لكنّني كنت على يقين من قبل، وزاد الآن يقيني أكثر من أي وقت مضى، بأن الديموقراطية الهشّة تتصلّب ويقوى عودها، عبر المكاشفات وإتباع نهج المصارحة والوضوح، لكي يرى الجميع كيف ستتفتّح وتزهر الأعمال الدرامية العميقة الرؤى، ويرى أيضاً الأحزان العميقة والآمال الكبيرة، تلك التي تشكّل جميعها مرتكزات وجود صلبة للديموقراطية.

بهذه الطريقة فقط، وليس عبر جلد الذات، نستطيع أن نتفادى تكرار ماحدث لنا.."

(هواجس الكاتب.. هواجس الشخصيات)

إن موضوع "الذاكرة" يكاد يشكِّل هاجساً دائماً لدورفمان ولشخصياته. الذاكرة التي تستعيد ماضي بلد جريح مثل تشيلي، مجسِّداً بشكل كوابيس في النوم ووساوس في اليقظة، والتي تلازم ضحايا الأمس، أولئك الذين نجوا من الموت، بشكل دائم. أما "الخوف" فهو يشكِّل موضوعاً جوهرياً

في البنـاء الاجتمـاعي والسيكولوجيّ لشخصيات الكاتب. إنـه يجري فـي عروقهم، يؤرقهم، ويشلّ حياتهم.

فإذا كـان فـي الماضـي يتشظّى فـي السرّ، فهو فـي الحاضـر أصـبح معلناً لدرجـة الخشية من أن يتحـوّل إلـى تـاريخ رسمي للبلـد الـذي عـاش ذلـك الخـوف، وربمـا يقـود إلـى إعـادة إنتـاج مجتمـع تمزّقـه النزاعـات والحزازات، تلك التي يسعى الكاتب أصلاً إلى نسيانها.

دورفمـان لا يـدعو إلـى تكـريس ذلـك الخـوف، بـل إلـى فهـم مغـزاه وأبعاده، كـي لا يتكرّر فـي المستقبل.

موضـوع "النسيان" هـو أيضـاً هـاجس آخـر لـه وجوهـه المتعدِّدة لـدى الكاتـب. فوجهه الأوّل، هو طـيّ صـفحة ذلك الماضـي والبدء من جديد، حيث الناس يسعون إلى نسيان أوجاعهم وخوفهم والعنف الذي نزل بهم، وثمّـة أسـباب عديـدة وراء الرغبـة فـي ذلـك النسـيان، سـواء للنـاس الـذين تعرّضوا للإساءات أو للبعض ممن ارتكبها. هؤلاء يشعرون أن استعادة الماضـي هـو تحطـيم لهـم. إنهـم يقولـون أن ثمّـة مسـتقبلاً ينتظرنـا، دعنـا نطـوي هـذه الصـفحة، دعنـا ننسـى ذلـك، دعنـا نبـدأ مـن جديـد، وهـذا كلّـه نعثر عليه ساطعاً في شخصية المحامي وعضو هيئة التحقيق جيراردو في "الموت والعذراء" وأيضاً في شخصية الكابتن في مسرحية "الأرامل".

أمـا الوجـه الثـاني للنسيان فهـو ذلـك الـذي يتعامـل غالبـاً مـع النـاس الـذين يخوضـون نضـالاً مسـعوراً ضـدّ مـن يريـد إلغـاءهم وتهميشـهم وتجـاهلهم، بـل وحتـى محـوهم مـن وجـه الأرض. هؤلاء النـاس ذاقـوا جـور ومـرارة الماضـي، وخرجـوا مـن تلـك المحرقـة مشـوّهين ومشـوّشـين، وحـين

استيقظوا على حاضر آخر جديد، وجدوا أنفسهم منسيِّين مهمَّشين، يسيرون على رصيف واحد وجلاديهم.

هذا ما نعثر عليه بصورة جلية لا لبس فيها في شخصية باولينا في "الموت والعذراء" والرجال المفقودين في "الأرامل".

دورفمان يذهب أبعد من ذلك، حين يضيف وجهاً ثالثاً لمغزى مفهوم النسيان وهو ذلك الذي يتعلّق بالهوية. فقد كتب يقول:

"... ومشكلة الذاكرة هي ليست مشكلة أنّنا نتذكّر المخاوف التي مورست معنا، وعلينا نسيانها، بل تلك التي لها تأثير أيضاً على الهوية، هويتنا التي فقدناها. أين هويتنا؟ علينا أن نفكِّر عميقاً وبدقّة في هذا السؤال.

(الموت والعذراء)

شخصيات المسرحية:

- باولينا سالاس: الزوجة (٤٠ عاماً).
- جيراردو إيسكوبار: الزوج، محام، عضو هيئة التحقيق. (٤٥ عاماً).
- روبيرتو ميراندا: الطبيب (٥٠ عاماً).

تجري أحداث المسرحية في زمننا الحالي، في بلد هو على الأرجح "تشيلي" أو أي بلد استيقظ تواً من كابوس الديكتاتورية، وشرع في بناء دولته الديموقراطية.

بيت صيفي على شاطىء البحر. باولينا تجلس وحيدة، يعكس صخب موج البحر ما يمور في أعماقها من أفكار وهموم، وهي بانتظار قدوم زوجها من الاجتماع الذي دُعي إليه من قبل الحكومة الجديدة والمنعقد بشكل طارىء في العاصمة.

كانت باولينا قد تعرّضت إلى عملية خطف من قبل البوليس السرّي قبل خمسة عشر عاماً حين كانت طالبة في كليّة الطب، بسبب آرائها السياسية المناوئة للسلطة. حينها تعرّضت إلى التعذيب بالصدمات الكهربائية، وجرى اغتصابها داخل زنزانتها بطريقة بشعة.

على الرغم من مرور كل هذه الفترة الطويلة على تلك الحادثة، إلا أن آثار الصدمة ما زالت باقية.

باولينا هي الشخصية المركزية في هذه الدراما، فهي الضحية بأسطع صورها، ضحية للنظام الديكتاتوري الوحشي القديم، وضحية التهميش والتسويات السياسية للنظام الجديد.

إنها صورة مصغَّرة للكبت الإجتماعي والنفسي والسياسي، كلّه مختزلاً في شخصية واحدة. ويمكن القول إنها ترميز لمجتمع كامل مختنق، خرج تواً إلى الهواء الطلق.

يصل جيراردو في ساعة متأخرة من الليل ومعه رجل غريب يدعى الطبيب روبيرتو ميراندا الذي يوصله لغاية منزله بعد العطل الذي أصاب عربته في الطريق العام. يغادر الطبيب روبيرتو بإتجاه منزله الساحلي على أمل العودة ثانية في الغد تلبية لدعوة جيراردو له على حضور وجبة غداء.

الحوار الاستهلالي بين باولينا وجيراردو، المتَّسم بالحذر والحدّة والتراشق الخفي بالاتهامات، يكشف عن هوّة سحيقة تفصل رؤى الزوجين. فعلى الرغم من حذره الشديد من إخبارها في البدء بموافقته على القبول بترشيحه من قبل الرئيس، بمنصبه الجديد، عضواً في هيئة التحقيق، إلا أن باولينا ضمناً تتكهّن بذلك، فيضطر هو بدافع من إصرارها أن يعلن لها عن موافقته تلك، وهذا ما سيخلق الأرضية الخصبة لنمو النزاع للمعركة القادمة.

مشكلة باولينا إزاء جيراردو هي أنّها غير واثقة من صدق وحسن نوايا أعضاء هيئة التحقيق الذين سينتسب إليهم زوجها، بسبب تبعية الكثير منهم إلى النظام القضائي القديم. وهي أيضاً ليست مؤمنة بالإجراءات القانونية الجديدة أصلاً، تلك التي تتعامل فقط مع ملفات الموتى من ضحايا النظام الفاشي، دون الأحياء منهم. ناهيك عن عدم كشفهم لأسماء المجرمين أو محاكمتهم علناً.

أما جيراردو فعلى النقيض منها، يرى في تلك الإجراءات سبيلاً وحيداً للحفاظ على النظام الجديد من الانهيار. فهو، كمحام، عليه أن ينخل تراب أنقاض الديكتاتورية البشعة، قبل اتخاذ أي قرار.

هدفه هو إشاعة الأمن والطمأنينة في نفوس الناس، حتى وإن كان ذلك على حساب الحقيقة!!.

صحيح، أنّه كمحام وشخص قاسى لوعة الاستبداد، يسعى إلى تطبيق العدالة، لكنّه في نفس الوقت، يستميت من أجل الحفاظ على الزورق من الغرق. أما باولينا فإنّ جلّ ما تسعى إليه الآن، أكثر من أي

وقت مضى، هو الخروج من صمتها المهلك، والمطالبة بتطبيق العدالة بحق مجرمي الأمس.

من هنا تبدأ الهوّة تتسع أكثر فأكثر بين تلك الرؤيتين، بين وجهتي النظر الراديكالية والتوفيقية لمفهوم العدالة.

فجأة تُسمع طرقات على الباب في آخرة الليل. الطبيب روبيرتو ثانية، عاد لتهنئة جيراردو على منصبه الجديد بعد أن استمع إليه تواً في المذياع عبر أخبار المساء، وعرف أيضاً أن لدى جيراردو اجتماعاً مهماً في الغد في العاصمة، عند ذاك يبادر في عرض مساعدته ثانية على جيراردو بأن يوصله إلى العاصمة بسبب عطل سيارة هذا الأخير. والنتيجة، يبقى روبيرتو ليبيت في المنزل بعد إلحاح من جيراردو، لكي ينطلقا سوية في الغد إلى العاصمة.

وهكذا تجتمع الشخصيات الثلاث، في هذا المكان المنعزل الشبيه بسجن صحراوي، لتشكل الأعمدة الأساسية الثلاثة التي سيرتكز عليها بناء المسرحية، ولتمضي الدراما قدماً نحو الأمام.

إن إقتحام روبيرتو لهذا المنزل المنعزل في آخرة الليل وبهذه الطريقة، أثار الريبة والخوف في نفس باولينا، التي هي مازالت تحت تأثير تلك الصدمة التي حدثت لها في الماضي، حيث يرافقها هاجس دائم بتهديد مبهم يمكن أن يداهمها في أيِّ لحظة، ناهيك عن أن أزلام السلطة ما زالوا طليقين.

فجأة، وفيما هي تتنصت للحديث الذي يدور بين زوجها والرجل الغريب، تصيبها حالة ذعر مفاجئة أشبه بصدمة كهربائية. فنبرات

صـوته، وطريقـة ضـحكته، واسـتخدامه لـبعض المفـردات، واستشـهاداته المتكرِّرة بنيتشـه، وعشـقه الهـائـل لرباعيـة شـوبرت "المـوت والعـذراء" كـلّ ذلك، أومض في رأسها كالبرق صورة جلادها القديم وهو يحلّ ضيفاً في بيتها. وهكذا تبدأ في اتخاذ الاستعدادات الكاملة لإنجاز تلك المهمة التي كانت تنتظرها منذ زمن طويل.

تنطفىء الأنوار ويرقد الجميع فيما يعلو صخب الأمواج في الخارج.

تتسلل باولينا كالشبح إلى غرفة الطبيب روبيرتو، لتظهر بعد قليل وسط العتمة وهي تجرجر جسده على الأرض، مغمًّى عليه إثر ضربة تلقّاها على رأسه بعقب مسدسها. حين يجرّب أن يصرخ، تسارع وتخلع سروالها الداخلي وتكمم به فمه وتغلقه بشريط لاصق، ثم تربط قدميه وذراعيه وتشدّهما إلى الكرسي. تلتقط بعجالة مفاتيح سيارته وتهبط إلى الطريق العام لتحجز تاكسي من التلفون العمومي، لينقل زوجها إلى العاصمة صباحاً. وحين تفتح باب السيارة تعثر وبالصدفة داخل الصندوق الأمامي على شريط كاسيت لرباعية شوبرت "الموت والعذراء " تلك الرباعية التي كان يستمع إليها جلادها لحظة تعذيبها واغتصابها في السجن!.

شهادة واحدة وتكتمل دائرة اليقين في أن الرهينة هو الرجل نفسه. تفك أزرار قميصه وتبدأ في شم رائحة جسده، فتصرخ دون صوت، إنه هو! فتكتمل تلك الدائرة في مخيلتها.

إن صورة الطبيب وهو قادم ليدخل المصيدة بنفسه، تتماهى هنا إلى حدٍّ ما، و صورة البطل التراجيدي في الأسطورة الإغريقية، ذلك الذي يكون مدفوعاً بقدر حتمي نحو مصيره.

والآن. هل حقاً، أن الطبيب روبيرتو هو نفس الرجل الذي أشرف على تعذيبها واغتصابها في السجن، أم هو مجرد استجابة مرضية للوساوس التي تنخر في عقلها الباطن، والذي هو بمثابة المعادل السيكولوجي لصدمة الخوف والعنف الذي قاسته باولينا في الماضي؟

باولينا، في حالتها السيكوباثية تلك التي رسمها لها المؤلِّف، يمكن أن يدفعها سلوكها العصابي إلى اتِّهام أي شخص عابر معتبرة إياه جلادها أو مغتصبها. وهذا ما يرد على لسان الطبيب روبيرتو وهو يُشخِّص لزوجها نوعاً من الشيزوفرينيا البدائية في سلوكها المضطرب.

المؤلِّف هنا لا يُقدِّم أيّ تلميحات عن ماضي وتاريخ هذا الرجل، ربما لأنّه أراد أن يُدخلنا دائرة الشك قبل أن نسارع ونتعاطف وباولينا، وهذا ما دفع بالحبكة بقوّة إلى الأمام.

وإيغالاً في خلق الحيرة فينا، أظهره لنا في حديثه وسلوكه مع جيراردو، رجلاً دمثاً رقيقاً يمتلك روح الإيثار، ومن الممكن جدّاً أن يكون بريئاً. أما مواقفه السياسية إزاء ما يجري من تغييرات، فقد أثبتت آراؤه أنه واحد من المثقفين المتنوِّرين والمؤيِّدين للإجراءات الجديدة للحكومة، وذلك من خلال إشادته بتشكيل هيئة التحقيق تلك، وزعمه أنها ستنهي فصلاً مؤلماً من تاريخ العنف في البلاد، وستغلق الباب بوجه الخلافات والتقسيمات التي حدثت في الماضي... إلخ..

وهكذا يظلّ دورفمان مبقياً على هذه الشخصية حتى النهاية، غائمة ومبهمة تتأرجح بين الواقع والخيال، وهذا ربما السر وراء تعقيد حبكة هذه الدراما.

حين يسري اليقين في أوصال باولينا بأنّ خطواتها الاستكشافية تسير على نحو موصول بشكل صحيح، تتحوّل فجأة إلى شخصية اقتحامية وعدوانية، وتهجم على فريستها مثل نمرة متوحشة.

إنها إزاء فرصة كهذه، ليس أمامها خيار آخر سوى أن تقوم هي بنفسها في تطبيق العدالة التي عجزت السلطة الجديدة عن تطبيقها. وهكذا تبدأ في ممارسة طقس الحرية الذي تنشد من خلال استجواباتها المربكة والملتبسة، وهي تلعب دور الضحية والحَكم في آن.

إلا أنّ استجوابات المؤلِّف هنا تتجاوز حدود الشخصي، لتطال الحقيقة بل اللغة نفسها، فتغيم المسافات ما بين الذاتي والموضوعي، بين الأخلاقي والسياسي، ويمتزج كل شيء في بوتقة واحدة.

هذه التركيبة الدرامية تجد لها تعبيراً ساطعاً في ذلك المزج الدقيق الرائع بين الولاءات الشخصية والوقائع السياسية والمشكل الأخلاقي، ذلك الذي يمكننا أن نعثر عليه واضحاً بجلاء في أعمال كانت تنضوي تحت ما اصطلح على تسميته بـ "دراما المشكلة" في نتاجات جان بول سارتر وهارولد بنتر، وفي مسرحية "البوتقة" لآرثر ميللر على وجه الخصوص، في معالجتها للمكارثية.

على أن الشيء الجديد في المسرحية، والذي يكاد يكون مصدر قوّتها، هو تعقيد حبكتها كما أشرت من قبل، فعلى الرغم من واقعية

الأحداث والشخصيات، إلا أن المسرحية تترك انطباعاً واضحاً، من زاوية أخرى بأنّها ليست واقعية.

إن دعوة باولينا الأخلاقية لقيام عدالة حقيقية، تقودها إلى نزاع من نوع جديد. فتصبح دعوتها تلك نوعاً من التحدّي لمجتمع لا يؤمن إلا بعدالة التسويات والحلول الوسطية.

باولينا، بمغزى أعمق، يمكن أن تكون ترميزاً للديموقراطية وهي في دور النقاهة.

دورفمان نفسه، كان يدرك جيداً أن الديموقراطية الناشئة تواً، تكون عادة هشّة، وهي دائماً محفوفة بالمخاطر والتناقضات، ومسرحيته هذه ما هي إلا مناظرة مدروسة، أكثر منها جدلاً عدوانياً عنيفاً.

حين يستيقظ جيراردو ويرى مشهد الدكتور وهو مقيّد إلى الكرسي وفمه مكمّم، يصعق. فهو إزاء وضع كهذا، عليه أن يوفِّق ما بين عاطفته كزوج، وواجبه كرجل قانون، وأن يعثر على حلول منطقية تستجيب لروح التسوية التي تَسِم شخصيته. فهو لا يستطيع رؤية زوجته وهي تسعى لإدامة وتكرار نهج من آذوها، على الرغم من أنه يدرك ضمناً أن حاجتها لتطبيق العدالة بحق الجناة، تتطابق تماماً وحاجة معظم الناس الذين تعرّضوا للأذى.

ومن أجل حلّ هذه المعضلة يلجأ الكاتب إلى حل غرائبي، عبر مكيدة بيضاء يحيلها لبطله جيراردو "رمز السلطة الجديدة" لأن يمارس سحره التوفيقي، وهو حلّ افتراضي خاضع لرؤية افتراضية بالطبع.

فلأجل إنقاذ حياة الطبيب من موت أصبح محتوماً، من جانب، ولتحقيق رغبة باولينا في إرساء مفهوم صائب للعدالة من جانب آخر، ينجح في إقناع روبيرتو في القيام بإعتراف ملفق بتلك الجريمة، بعد أن يسرد له تفاصيل ماضي زوجته. وهكذا تبدأ اللعبة لتستأنف حتى الفجر.

في مشهد المحاكمة، والذي سيتواصل تواتره حتى ختام المسرحية، تتحوّل باولينا من ضحية إلى مستبد، فالاستجواب يتحوّل بالتدريج من مجرّد معرفة حيثيات القضية إلى نوع من الاستمتاع السادي. والنتيجة، أنها وعبر تداعياتها للحادثة، تنتزع منه عنوة، رغم موافقته الأولية، على اعتراف كامل بالجريمة، مدوِّناً بخطِّ يده ومسجّلاً على شريط صوتي.

دورفمان يعالج تداعيات هذا المشهد بأسلوب تغريبي، وذلك حين يجعل من باولينا تعيد تمثيل ما حدث لها في الماضي. فتقوم بلعب دور الطبيب الذي كان يشرف على تعذيبها، ودور مساعده الذي يقوم باغتصابها بأوامر من الطبيب نفسه، مستخدمة شريط الكاسيت الذي جلبته من سيارة الطبيب، لتكون موسيقى سيمفونية "الموت والعذراء" خلفية صوتية للمشهد.

هكذا يتوضح هدف المؤلّف في أنّه يسعى لأن يروي قصة ماض حزين لامرأة تريد أن ترفع ثقل ذلك الكابوس عنها، والذي ظلّ يلازمها سنين طويلة، عبر استدعائها ذلك الماضي وجلبه إلى منطقة الضوء من جديد.

الإغتصاب الذي تعرضت له باولينا في الماضي يتخذ له شكلاً ترميزياً أعمق من كونه مجرّد إعتداء عادي على فتاة شابة. فحين

تطلب من زوجها أن يقوم بإغتصاب الطبيب روبيرتو أثناء المحاكمة وأمامها، فإن الإغتصاب هنا لا يعني بالضبط مجرد إعتداء جسدي أو جنسي، بل يتخذ له ملمحاً رمزياً ودلالياً، من الممكن أن يمثل لباولينا نوعاً من الإنتصار على سلطة القمع والعنف تلك، ذلك إن الأغتصاب الذي تعرّضت له باولينا يعكس الصورة البشعة للسلطة، بكل جبروتها واستبدادها وعنفها، إزاء الفكر والوجود الإنساني.

حين ينتهي الاعتراف ويُسجّل على شريط كاسيت ليصبح وثيقة دامغة ضدّه، يتقدّم جيراردو لتحريره من قيده بعد أن أيقن أنّ اللعبة قد انتهت، إلا أنّه يفاجأ بإشارة تهديد من باولينا تأمره بمغادرة المنزل، حيث تنتظره التاكسي في الخارج لتنقله إلى العاصمة.

حين يخسر أوراق اللعب، وتبقى في يده الورقة الأخيرة، يكشف الطبيب روبيرتو لها سرّ مزحة الاعتراف الملفَّق، لكنّها تنفجر بوجهه مسعورة ساخرة، وتخبره أنها كانت على اطلاع بتلك المزحة الغبية، والتي لم تُنجز بشكل دقيق. فقد ذكر لها في اعترافه أشياء لم تكن هي قد قالتها لزوجها قط من قبل، وهي أشياء حدثت معها في السجن! وهذه شهادة أخرى ضده.

ومع ذلك، فإنّ باولينا وبعد أن خرجت من صمتها وقالت كلمتها التي تريد، وأفرغت كل تلك الشحنات التي كانت تمور في أعماقها، تغيّر فيها الكثير، وابتدأت تستعيد شيئاً من توازنها وبعضاً من عافيتها، تقرّر العدول عن قتله، وتتعهّد أن تطلق سراحه، شرط أن يعلن وبصوت

عال توبتة وندمه، طالباً منها الصفح، إلا أنّها تُفاجأ بالصمت، صمته المطبق!!

وفجأة، تنطفىء أنوار المسرح..

مشهد الختام:

يحضر الثلاثة حفلاً موسيقياً في قاعة كبيرة، يفترضها المؤلف أن تكون قاعة عرض المسرحية نفسها.

جيراردو وباولينا يجلسان على مقعديهما جنباً إلى جنب، فيما الطبيب روبيرتو يجلس بعيداً على أحد المقاعد، وهو يتبادل النظرات وباولينا بخلسة واحتراس على إيقاع نغمات سمفونية "الموت والعذراء" التي تعزفها الفرقة الموسيقية..

تهبط من بُعد وبهدوء من أعلى المسرح ستارة، هي عبارة عن مرآة بلاستيكية ضخمة.

تتوهج فجأة أنوار القاعة، فتنعكس وجوه المتفرِّجين على صفحة المرآة، فينبثق حينها سؤال الخاتمة، السؤال الأصعب والأشمل وهو: من نحن من بين هؤلاء الثلاثة!؟.

دورفمان لا يريد أن يكون صوتاً بديلاً لصوت شخصياته. إنه ككاتب يمنح تلك الأصوات الفرصة والمصداقية كاملة، يمنحهم فسحة من الحرية ليقولوا كلمتهم، والأكثر من ذلك، أنه يشيّد فيما بينهم جسوراً لكي يلتقوا ويتحاوروا.

إن المحاكم التي يقيمها المؤلف هي بمثابة منابر أخلاقية تتعامل مع الحقيقة والضمير الإنساني. أما عقوباته فهي تبتعد عن مدلولها المادي والواقعي، ذلك المتمثل بالسجن أو الموت، وتتخذ لها دلالات رمزية، تلامس شغاف القلب والروح ووخز الضمير، وتهدف إلى نوع من التطهير. عقوبات ليست أكثر من إحساس الجاني بفداحة جريمته إزاء ضحيته وأخيه الإنسان، وشعوره بالأسف والتوبة والندم على تلك الخطيئة، ومن ثم، طلبه الصفح من الضحية.

إن مأزق باولينا هو مأزق جميع الناس الذين قمعت أصواتهم، والذين يطلق عليهم دورفمان مجازاً بـ "المناطق الخاضعة للرقابة".

لذا فالكاتب يدعو في العهد الديموقراطي الجديد، تلك الأصوات التي تعرّضت إلى عمليات قمع وكبت وتعذيب في عهد الديكتاتور، إلى الخروج إلى النور، إلى البوح بكل شيء، جهاراً ومن دون تردّد أو خوف.

كتب يومها دورفمان: "... إنّ الكثير من الناس الذين تعرّضوا للتعذيب لديهم قصصهم المكبوتة، تلك التي لم تُحكَ بعد. أعرف أن التعذيب هو الجريمة الأولى، نعم، لكنني أؤكد أنّ الجريمة الأكثر بشاعة هي الصمت!!.

أنا ككاتب، يقلقني جداً هذا الصمت، وأستطيع عمل الكثير بشأنه..".

وهكذا أصبح دورفمان حقاً، راوياً لتلك الأحداث التراجيدية. ففي عالمه التخييلي يصبح فن القص أو سرد الحكاية شكلاً من أشكال الحرية، فيما الصمت هو شكل من أشكال العبودية.

المسرحية لم تكن تحكي فقط عن بلده تشيلي، أو أي بلد عانى ويعاني الخوف وهو بحاجة قصوى لمعرفة مغزى ذلك الخوف وآثاره. ليس فقط عن التأثيرات الطويلة الأمد للتعذيب والقمع والعنف الذي مورس على الناس وعلى أوطانهم الجميلة، بل أيضاً عن موضوعات أخرى كانت وما تزال تقلق دورفمان، وتستحوذ على تفكيره بشكل مستمر:

ماذا يحدث مثلاً لو أنّ النساء تسلّمن زمام السلطة؟

كيف يمكنك قول الحقيقة إذا كان القناع الذي ترتديه يتطابق تماماً مع وجهك؟

كيف يمكن للذاكرة أن تضلّلنا، وفي نفس الوقت، تهدينا وتنقذنا؟

كيف يمكننا أن نحتفظ ببراءتنا ونحن تذوقنا طعام الشيطان ذات يوم؟

كيف يمكن الصفح عن أولئك الذين آذونا بشكل يتعذّر نسيانه؟

كيف يمكننا العثور على لغة سياسية طازجة تنأى عن الشعاراتية القاتلة؟

كيف يمكن حكاية القصص التي هي على حدّ سواء، مألوفة وملتبسة، قصص يدركها جمهور واسع من الناس، قصص ما تزال

تتضمّن طرائق تجريبية، قصص تعالج موضوعات خرافية، وإنسانية مباشرة، أيضاً؟

الموت والعذراء تتحدث بلغة سياسية طازجة، وبإنفعال حاد ذي مغزى، عن تاريخ يتجاوز تخوم الأحداث الآنية، أو تلك الخسارات الشخصية التي عادة ما ترافق التغييرات السياسية المفاجئة.

في هذا الكوكب العجيب حيث تسود القوّة، من الممكن جداً أن سكنته لا يستطيعون حقاً معرفة ما حدث لهم. لكن من المحتمل جداً أنّ بإمكانهم سرد قصصهم وعذاباتهم في الأقل.

بهذا المعنى، تصبح هذه المسرحية إبنة زمنها..

(*) بيبلوغرافيا:

أرييل دورفمان (١٩٤٢) مواطن تشيلي أمريكي الجنسية.

الدراسات:

– كيف تقرأ دونالد دك (عمل مشترك مع الكاتب أرماند ماتيلارت) ١٩٧١.

– ملابس الإمبراطور العجوز ١٩٨٣.

– بضع كتابات من أجل المستقبل ١٩٩٩.

– مسرح اللامعقول بين أربعة جدران "مسرح هارولد بنتر".

– رحلة مزدوجة "إتجاه نحو الجنوب، نظرة نحو الشمال" مذكرات وثائقية ١٩٩٨.

الروايات:

– الأرامل ١٨٨٣. أغنية مانويل سيندير والأخيرة ١٩٨٧. ماسكارا ١٩٨٨.

– المطر القاسي ١٩٩٠. الثقة ١٩٩٥. مذكرات صحراء ٢٠٠٤ (رحلة في شمال تشيلي).

المجاميع القصصية الأخيرة:

– الفالس الأخير وقصائد عن المنفى والإختفاء ١٩٨٨. وطني وسط النار ١٩٩٠.

المسرحيات:

– ثلاثية المقاومة (الأرامل ١٩٨٩. القارئ ١٩٩٠. الموت والعذراء ١٩٩١).

– (ماسكارا) و (قائمة في سيرة حياة المشهورين) ٢٠٠٤. الجانب الآخر ٢٠٠٥.

السيناريوهات:

– الموت والعذراء (كتابة مشتركة مع روفائيل إيغليسياس ١٩٩٢. أنتج عام ١٩٩٤ وقام بإخراجه المخرج السينمائي رومان بولانسكي).

– سجناء في الموعد المحدد (مشترك مع ولده الأكبر رودريغو ١٩٩٥).

– وطني وسط النار (سيناريو وإخراج مشترك مع رودريغو ١٩٩٩).

– الموعد الأخير (سيناريو وإخراج مشترك مع رودريغو ٢٠٠٢).

– أعزل في نيويورك (كتبه دورفمان ولعب أحد أدواره، وأخرجه دانيال ألغرانت ٢٠٠٣).

علي كامل

مسرحي وسينمائي عراقي

لندن ٢٠٠٤

الفصل الأول

المشهد الأول

(صوت البحر بعد منتصف الليل)..

بيت جيراردو إيسكوبار الصيفي على ساحل البحر، شرفته تطل على البحر من الجانب الخلفي للمسرح. أما الجانب الأمامي المواجه للجمهور فهو عبارة عن غرفة واسعة هي بمثابة غرفة طعام واستقبال تحوي على مائدة مجهزة بالطعام حولها كرسيان، وثمة جهاز تسجيل ومصباح كهربائي موضوعان على البوفيه. هناك شباك تتطاير ستائره بفعل الريح يفصل ما بين الشرفة وغرفة الطعام والاستقبال.

باولينا تجلس وحيدة في الشرفة، تبدو كما لو أنّها كانت تحتسي الشراب تحت ضوء القمر..

صوت سيارة يُسمع من بعيد. تنهض باولينا مسرعة وتتجه نحو الغرفة الأخرى. تتوقف وتتطلع إلى الخارج من خلال النافذة. ترشق إضاءة المصابيح الأمامية للسيارة غرفة الاستقبال والطعام، فتحني باولينا رأسها وجسدها، فتبدو هيأتها أشبه بجنين في الرحم.

تتوقف السيارة فيما يظل محرّكها يشتغل. تَوهّج ضوء مصابيح السيارة يضايق باولينا، فتتجه نحو البوفيه. تفتح الدُّرج وتخرج منه مسدساً. يتوقف محرك السيارة. تتوقف باولينا، وتميز صوت زوجها في الخارج..

جيراردو: (يسمع صوته من بعيد) تفضّل، أرجوك. أوه، لم لا تدخل؟ هل أنت مصر؟ هيا، كأس واحد فقط (جواب غير

مسموع).. حسنٌ إذاً، سنلتقي قبيل مغادرتي. أنا سأغادر يوم الإثنين.. فما رأيك بيوم الأحد؟. (جواب غير مسموع) ستشرب كوكتيل المارغريتا الذي تحضِّره زوجتي، سيتوقف شعر رأسك لمذاقه. أريدك حقاً أن تعرف.. لا أعرف حقاً كيف أعبِّر لك عن شكري.. (جواب غير مسموع).. إذاً، إلى يوم الأحد.. (يضحك).

(باولينا تخفي المسدس، ثم تقف خلف الستائر، السيارة تغادر المكان ويرشق ضوء مصابيحها الغرفة ثانية. يدخل جيراردو).

جيراردو: باولينا؟ باولينا؟

(يراها مختبأة خلف الستائر. يفتح الضوء، فتخرج هي ببطء من بين الستائر).

باولينا: أوه.. ماذا تفعلين هناك؟ هل أنت.. أوه..؟ أوه، عذرا لأنني تأخرت.

باولينا: (تحاول أن تتظاهر أنها غير هائجة) ومن كان معك؟

جيراردو: كلا، كلا، لا تقلقي، إنه.. (تقاطعه بحدة)

باولينا: من؟

جيراردو: إنه، أوه، لا تقلقي، لا شيء، فقط، السيارة عطلت.. ولحسن الحظ أن الرجل توقّف.. إنفجر إطار السيارة وسط الطريق. باولينا، لا أستطيع رؤية شيء بدون.. (يفتح ضوء المصباح الآخر، فيرى مائدة الطعام جاهزة).

أوه، حبيبتي المسكينة. لا بدّ أنه أصبح بارداً، أليس كذلك؟

باولينا: (بهدوء تام) بإمكاننا تسخينه، طالما هناك شيء ما لنحتفل من أجله. (وقفة قصيرة). جيراردو، لديك شيء ما تريد أن نحتفل من أجله، أليس كذلك؟

جيراردو: ذلك يتوقف عليك. (وقف قصيرة. يخرج من جيبه مسماراً كبيراً)

إحزري ما هذا؟ .. إنه إبن الحرام، الذي ثقب لي إطار السيارة. وهل تعرفين ماذا يفعل الواحد حين يثقب إطار سيارته؟ سيذهب حتماً وببساطة إلى الصندوق الخلفي ليخرج الإطار الاحتياطي. لكن، ماذا لو كان الاحتياطي هو الآخر مثقوباً، هه. وهذه هي الكارثة. لكن، لو حدث وتذكرت زوجته الحبيبة بأنه مثقوب، وسارعت إلى تصليحه، قبل أن..؟

باولينا: زوجته، الزوجة، الزوجة، على الزوجة دائماً أن تصلح كل شيء. جيراردو، كان عليك أن تصلحه بنفسك، و...

جيراردو: أوه، باولينا. أنا متعب جداً صدِّقيني، وليس لديّ مزاج للجدال، ولا تنسي أنّنا سبق واتفقنا على أن..

باولينا: كان يفترض بك أن تقوم بذلك بنفسك. أنا مسؤولة عن شؤون البيت، وأنت.

جيراردو: أوه، باولينا..

باولينا: سيارتك في الأقل.

جيراردو: أوه، أنت دائماً تتذمرين.

باولينا: أنا لم أتذمر مطلقاً.

جيراردو: أوه، يكفي. هذا نقاش سخيف. يا إلهي، باولينا لماذا نحن نتشاجر؟ لقد نسيت فعلاً عن أي شيء؟

باولينا: نحن لا نتشاجر ياعزيزي. أنت اتهمتني بأنني لم أصلح إطارك الاحتياطي...

جيراردو: إطاري الاحتياطي؟

باولينا: .. وأنا قلت لك بشكل منطقي إنني..

جيراردو: إنتظري، انتظري لحظة. دعينا نوضح هذا الأمر.. قلت.. إنك لم تصلحي إطاري الاحتياطي.. إطارنا الاحتياطي. نعم، ذلك هو الذي فتح باب النقاش. أوه، ومع ذلك ثمة قضية صغيرة أخرى، تتعلق ب... بالرافعة..

باولينا: الرافعة!.. أيّ رافعة؟

جيراردو: آه، أيّ رافعة؟ الرافعة التي أرفع بها (...) لم أجدها في الصندوق الخلفي. أين وضعتيها؟

باولينا: آه.. وهل لرجل قوي مثلك بحاجة إلى رافعة ليرفع بها سيارته؟

جيراردو: (يعانقها) والآن، أخبريني حالاً أرجوك باولينا، ماذا فعلت بالرافعة؟

باولينا: أعطيتها لوالدتي.

جيراردو: (يسحب ذراعيه منها) ماذا! أعطيتها لوالدتك؟ أعطيت..

الرافعة.. لوالدتك؟

باولينا: حسنا، أعرتها لها. نعم.

جيراردو: وهل أستطيع أن أعرف، لماذا؟

باولينا: بالطبع. لأنها كانت بحاجة إليها.

جيراردو: وأنا؟ آه، باولينا، حبيبتي، ليس من عادتك القيام بمثل هذه الأشياء..

باولينا: جيراردو، والدتي سافرت إلى الجنوب، وكانت فعلاً بحاجة إليها، أما أنت..

جيراردو: أما أنا فلأذهب إلى الجحيم.

باولينا: كلا.

جيراردو: نعم. لقد استلمت برقية عاجلة وعليّ الذهاب إلى المدينة لرؤية الرئيس لحضور اجتماع. نعم اجتماع، وهو أهم اجتماع في حياتي. و..

باولينا: وماذا؟

جيراردو: وكان ابن الزنا هذا (يشير إلى المسمار) مستلقياً وسط الطريق في انتظاري. من حسن الحظ أن ذلك قد حدث أثناء عودتي إلى البيت وليس في طريقي إلى المدينة لحضور الاجتماع. المهم، توقفت السيارة وسط ذلك الطريق الملعون دون إطار احتياطي ودون رافعة.

باولينا: كنت أحدس أنك ستجد أحداً ما ليساعدك. هل كانت جميلة، هه؟ جذابة، أليس كذلك؟

جيراردو: أوه، باولينا، لقد أخبرتك توّاً أنّه رجل.

باولينا: لم تخبرني بذلك.

جيراردو: باولينا، لماذا تظنين دائماً أن هناك إمرأة..

باولينا: لماذا. حقاً، لماذا؟ أنا نفسي لا أستطيع أن أتخيّل لماذا؟ (وقفة قصيرة) وهل كان الرجل الذي (...) لطيفاً؟

جيراردو: إنسان رائع. من حسن حظي أنّه..

باولينا: أرأيت؟ أنت دائماً قادر على أن تدير الأمور بحيث تصبح في النهاية لصالحك..

أما والدتي، فتأكد لو حدث لها ما حدث لك فإنها سوف لن تظنّه مسماراً بل.. أنت تعرفها جيداً كيف تتجذب كالمغناطيس نحو المواقف المشؤومة..

جيراردو: آه، لا يمكنك أن تتخيّلي النشوة التي كنت سأشعر بها وأنا أتأمل أمك وهي تستكشف الجنوب مع رافعتي دون أن يقلقها شيء إطلاقاً، فيما أنا عالق وسط الطريق لساعات...

باولينا: جيراردو، لا تبالغ...

جيراردو: خمسة وأربعون دقيقة. خمس وأربعون. كانت السيارات تتخاطف على جانبي كما لو أنني.. لو أنني لا شيء أو ليس لي وجود. أتعرفين ماذا فعلت؟ صرت أحرّك ذراعي هكذا، مثل الطاحونة الهوائية، لأرى هل.. لكن عبثاً. حتى أنني فكرت حينها، قلت مع نفسي، ما الذي يحدث؟ هل فقد حقاً الناس أحاسيسهم؟ أين ذهب ذلك التضامن الإنساني في

هذا البلد؟ لكن، فجأة، ومن حسن الحظ، ظهر لي هذا الرجل كالملاك، نعم كالملاك واسمه روبيرتو، نعم، روبيرتو ميراندا.. على فكرة، باولينا، لقد دعوته إلى..

باولينا: سمعتك.

جيراردو: عظيم، وما رأيك في يوم الأحد؟

باولينا: جيد.

(وقفة قصيرة)

جيراردو: وبما إننا مضطران للعودة إلى المدينة يوم الإثنين، على الأقل أنا. وأظن أنك أيضاً تريدين العودة معي، هه..

باولينا: إذاً، الرئيس قام بتعيينك؟

(وقفة قصيرة)

جيراردو: نعم.

باولينا: معنى ذلك أنك وصلت إلى قمّة مجدك.

جيراردو: لا، أنا لا أسمِّيها قمة. رغم أنني أصغر جميع المرشحين سناً.

باولينا: صحيح. إذن ستصبح وزيراً للعدل في السنوات القليلة القادمة. حينها تكون قد وصلت إلى القمة. هه؟

جيراردو: إن ذلك لا يتوقف علي، بالتأكيد..

باولينا: وهل أخبرته بذلك؟

جيراردو: من؟

باولينا: ملاكك الطيب.

جيراردو: تقصدين روبيرتو ميراندا؟ أوه، كيف أخبره. لقد تعرّفت عليه تواً. ثم، إنني لم أقرّر بعد حتى الآن.

باولينا: لقد قرّرت كل شيء جيراردو.

جيراردو: أخبرته أنني سأجيب عن ذلك غداً، وقلت له أنني أشعر بالفخر لمنحي هذا المنصب، وهو وسام شرف لي، لكنني بحاجة إلى...

باولينا: للرئيس؟ هل قلت ذلك للرئيس؟

جيراردو: نعم، للرئيس، قلت له إنني بحاجة إلى وقت لأفكّر في الموضوع..

باولينا: أي موضوع جيراردو. لقد اتخذت قرارك وانتهى الأمر. أليس هذا ما كنت تسعى إليه طوال كل هذه السنوات، فلماذا تتظاهر أنك...

جيراردو: لأنني قبل كل شيء، باولينا، قبل كل شي، إني أنتظر الإشارة منك. أقصد.. أنتظر موافقتك. أنتظر منك أن تقولي "نعم".

باولينا: حسنا إذن: نعم.

جيراردو: كلا، هذه ليست "نعم" التي أنتظرها.

باولينا: وهذه هي "نعم" الوحيدة التي لدي للأسف الشديد جيراردو.

جيراردو: كلا، لقد سمعت "نعماً" أخرى.

(وقفة قصيرة)

إذا وافقتُ على هذا المنصب، فعليّ أن أعرف قبل كل

شيء، هل بإمكاني الاعتماد عليك في.. في.. في أن لا تشعري.. أعني أن تسوء حالتك ثانية لأن ذلك من الممكن أن يعرّضني..

باولينا: للانتقاد. نعم، يجعلك عرضة للانتقاد. أو، ربما سيجرِّدونك من المنصب. وعليك في هذه الحال أن تعتني بي مرة أخرى ومن جديد.

جيراردو: باولينا إنك تظلمينني.

(وقفة قصيرة)

هل تنتقدينني لأنني أعتني بك؟

باولينا: وهذا ما قلته للرئيس هه، إن زوجتك ربما تعاني من مشاكل بشأن..

(وقفة)

جيراردو: الرئيس لا يعرف ذلك. لا أحد يعرف. حتى والدتك نفسها لا تعرف ذلك.

باولينا: هناك أناس يعرفون ذلك.

جيراردو: أنا لا أتحدث عن أولئك الناس. لا أحد في الحكومة الجديدة يعرف ذلك. إنني أتحدّث عن حقائق ووقائع حدثت، سوف لن نعلن عنها مطلقاً. لا أنت ولا أنا..

سوف لن نبلغ عن تلك القضايا التي قاموا..

باولينا: إذاً ستحققون فقط في تلك القضايا التي كان نتيجتها الموت، هه؟

جيراردو: باولينا، عذراً، ماذا قل..؟

باولينا: أقول، هل ستحقق هذه اللجنة التي عُيِّنت أنت فيها، فقط في القضايا التي كانت نتيجتها الموت؟

جيراردو: اللجنة خُصِّصت للتحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان، تلك الانتهاكات التي كان نتيجتها الموت أو موت مبنيّ على الافتراض والاحتمال. نعم.

باولينا: معنى ذلك، الحالات الأكثر خطورة فقط، هه؟

جيراردو: الفكرة هي أننا إذا استطعنا تسليط الضوء على أسوأ الجرائم، فإن الشرور الأخرى ستظهر جميعها إلى النور.

باولينا: تلك الأكثر خطورة فقط؟

جيراردو: دعينا نقول، تلك القضايا المتعذِّر علاجها..

باولينا: المتعذِّر علاجها. تلك الميؤوس منها، هه؟

جيراردو: باولينا، أنا لا أحب أن أتحدّث عن هذا.

باولينا: ولا أنا.

جيراردو: ولكن مع ذلك، يجب أن نتحدّث عنها، أنت وأنا باولينا، أليس كذلك؟

على أي حال، لو أنني أمضيت الشهور الثلاثة القادمة أستمع فيها لشهادات الناس ولأقارب الضحايا وشهود العيان، ولأولئك الذين نجوا من الموت، وإذا كان في كل مرة أعود فيها إلى البيت، تطلبين مني أن أحكي لك عن كل ذلك. فهذا..

(يأخذها بين ذراعيه) باولينا، تعرفين كم أحبّك.. آه، لو تعرفين، كيف أنّ ما حدث لك لا يزال حتى الآن يؤرقني ويؤذيني.

(وقفة قصيرة)

باولينا: (تمسك به بشكل عنيف) نعم، نعم، نعم. أهذه "نعم" التي أردتها مني؟

جيراردو: نعم، نعم، هذه هي "نعم" التي أردتها منك.

باولينا: جيراردو. حاولوا أن تعرفوا كل شيء، وتتحرّوا عمّا حدث للناس. عن كل شيء. عدني يا جيراردو أنكم ستعثرون على كل شيء، كل شيء..

جيراردو: كل شيء. كل شيء نستطيعه. سنعمل بالقدر الذي.. (وقفة) بقدر ما..

باولينا: هو مسموح.

جيراردو: بل ما هو ممكن. إننا محدَّدون. لكن صدقيني أننا سنحقِّق الكثير ضمن هذا الممكن.. سنقوم بنشر استنتاجاتنا وأحكامنا النهائية. سيكون هناك تقرير رسمي. كل الأشياء التي حدثت ستثبّت بشكل رسمي وموضوعي، حيث لا يستطيع أحد أبداً أن ينكر ذلك، وكي يوضع حدّ لكل تلك التجاوزات حتى لا تتكرّر مرّة أخرى..

باولينا: وبعد ذلك؟

(يصمت جيراردو)

تستمعون لأقارب الضحايا ثم تشجبون الجرائم، وماذا بشأن المجرمين؟

جيراردو: هذا يتوقف على القضاة. المحاكم ستستلم نسخاً من الشهادات والقضاة سيواصلون من هناك..

باولينا: القضاة؟ القضاة؟ نفس القضاة القدامى، القضاة الذين لم يتجرّأوا أن يعترضوا أو يتدخّلوا مرّة واحدة من أجل إنقاذ حياة إنسان واحد لفترة سبعة عشر عاماً من حكم الديكتاتورية؟ القضاة الذين لم يوافقوا أبداً على مثول السجناء أمام محاكمهم؟ القاضي بيرالتا، ذاك الذي أجاب تلك المرأة المسكينة التي جاءت تسأله عن زوجها المفقود، قائلاً لها بأن زوجها ربما قد ضجر أو تعب منها وهرب مع إمرأة أخرى؟ أتسمي هؤلاء قضاة؟ أهؤلاء قضاة؟ قضاة؟ قضاة؟

(باولينا تضحك بهدوء، لكن الضحكة تتحوّل إلى صراخ هستيري)

جيراردو: باولينا. كفى. باولينا.

(يأخذها بين ذراعيه حتى تهدأ شيئاً فشيئاً)

حمقاء. حبيبتي الحمقاء.

(وقفة قصيرة)

إذاً، ماذا كنت ستفعلين لو انفجر إطار السيارة وبقيت واقفة وسط الطريق العام؟ تخيّلي نفسك وأنت عالقة في الطريق والسيارات تمرّ قربك مسرعة كالبرق، وأضواؤها تتخاطف من

جانبيك، تصرخين من دون أن يتوقف أحد. هل فكرت ماذا سيحلّ بك وأنت لوحدك وسط الطريق في ذلك الظلام المخيف..

باولينا: سيتوقف أحد ما حتماً. ومن المحتمل أن يكون هو نفسه، ميراندا، هه؟

جيراردو: محتمل. ليس كل الناس أولاد زنا.

باولينا: لا، ليس كلّهم.

جيراردو: لقد دعوته على جلسة شراب يوم الأحد. ما رأيك؟

باولينا: كما تحب.

(وقفة قصيرة)

تعرف، لقد كنت خائفة جداً حين توقفت السيارة. وتضاعف خوفي حين تطلّعت من النافذة ولم أجد سيارتك..

جيراردو: لم يكن هناك شيء يثير الخوف على الإطلاق.

باولينا: كلا.

(وقفة قصيرة)

جيراردو، قلت لي إنك أخبرت الرئيس إنك موافق، أليس كذلك؟ كن صادقاً جيراردو، أم إنك ستستهل عملك في اللجنة بالكذب؟

جيراردو: لم أكن أريد إزعاجك.

باولينا: قلتَ للرئيس إنك موافق، أليس كذلك؟ قلت له ذلك قبل أن تسألني رأيي، أليس كذلك؟ أريد معرفة الحقيقة، جيراردو.

جيراردو: نعم. قلت له إنني موافق. نعم. وقبل أن أسألك رأيك.

(يتلاشى الضوء عن خشبة المسرح)

المشهد الثاني

مرّت ساعة من الوقت.. المسرح خالٍ إلا من ضوء القمر الذي أصبح أقلّ وهجاً من قبل وهو يتسلّل إلى الداخل عبر الشبابيك. أطباق العشاء قد رفعت من على المائدة. صوت البحر يسمع من الخلف وصوت سيارة تقترب من المنزل، ومن بعد تضيء أنوارها غرفة الطعام ثم تنطفئ. يُفتح باب السيارة ويُغلق. أحد ما يطرق على الباب. تبدأ الطرقات بتردّد وحياء، ومن بعد بقوة. يُضاء مصباح من خلف الكواليس ويطفأ فوراً. فيما تتوالى الطَرَقات على الباب أكثر فأكثر. يدخل جيراردو قادماً من غرفة النوم مرتدياً بيجامة النوم.

جيراردو: (يتكلّم مع باولينا وهما خلف الكواليس) لا شيء، لا شيء.. إهدئي.. حسناً، حسناً حبيبتي، سأكون حذراً.
(يفتح ضوء المصباح)
نعم، قادم، قادم..

روبيرتو: أنا آسف جداً على هذا التطفّل. ظننت أنكما ما زلتما مستيقظين تحتفلان.

جيراردو: أوه، تفضل. تفضل أدخل. (يدخل روبيرتو)

الحقيقة أننا ما زلنا غير متعوّدين على ذلك.

روبيرتو: متعوّدين على ماذا؟

جيراردو: نعم، ما زلنا غير متعوّدين على الديموقراطية. أن يطرق أحد ما عليك الباب في منتصف الليل، ولا تدري إن كان صديقاً أم..

(تتقدَّم باولينا شيئاً فشيئاً نحو الشرفة، حيث يمكنها أن تسمعهما من دون أن يريانها أو تراهما)

روبيرتو: (يكمل جملة جيراردو) واحداً من أولاد الزنا؟

جيراردو: لقد توترت زوجتي بعض الشيء.. أنت تفهم ذلك. الواقع أنها غير متعوّدة على الطرق في آخر الليل.. عفواً، هل في الإمكان أن نخفض صوتنا قليلاً.

روبيرتو: نعم بالطبع، إنها غلطتي، أنا فقط كنت أريد...

جيراردو: إجلس أرجوك. تفضل إجلس.

روبيرتو: ... أن أقوم بزيارة خاطفة، حسناً، هل تستطيع أن تخمن سبب زيارتي المفاجئة... هه؟ حسناً، لا تتعب نفسك، تعرف، حين غادرتكم ومضيت باتجاه منزلي الساحلي..

جيراردو: عفواً، هل يعجبك أن تشرب شيئاً؟ ... إسمع، لدي كونياك معفى من الضريبة الجمركية..

(تقترب باولينا أكثر وهي تصغي)

روبيرتو: كلا، كلا شكراً. هه، حسناً، سأشرب، ولكن قليلاً جداً.. ماذا كنت أقول؟ ها، كنت أستمع إلى الراديو في سيارتي و..

وفجأة، ورد اسم جيراردو إيسكوبار في نشرة الأخبار ضمن قائمة الأسماء التي اختارها الرئيس للجنته التحقيقية. جيراردو إيسكوبار! جيراردو إيسكوبار! قلت لنفسي إن هذا الاسم ليس غريباً عليّ، أين سمعته، ومن هو؟ وظلّ اسمك يدور ويجول في رأسي طوال الطريق، وحين وصلت إلى البيت، ها... عرفت من هو صاحب هذا الاسم. (يضحك متفاخراً) وتذكرت أيضاً أننا وضعنا إطار سيارتك الاحتياطي المثقوب في صندوق سيارتي وأنك في الغد بحاجة إلى تصليحه، أيضاً... الحقيقة، الحقيقة، هل تريد أن تعرف الحقيقة يا سيد إيسكوبار؟

جيراردو: ولا شيء غيرها.

روبيرتو: الحقيقة أنني فكرت مع نفسي، قلت، إن هذا الرجل قد كُلّف بمهمة شاقة وكبيرة، مهمّة سامية وشريفة من أجلنا جميعاً، مهمّة من شأنها أن تغلق الباب بوجه خلافات وحزازات الماضي. وهكذا، قلت مع نفسي، ربما هذه هي العطلة الأسبوعية الأخيرة التي سيكون فيها خالي البال، وبعدها ستبدأ المتاعب، لأنني أعرف أن عليك ومنذ الآن أن تجول في عرض البلاد وطولها لتصغي لآلاف الناس... لا تقل لي إنك..

جيراردو: هذا صحيح بدون شك، لكنني لن أذهب بعيداً إلى هذا الحد الذي..

روبيرتو: لذلك فكّرت أنّ أقلّ ما يمكنني عمله هو أن أعود ثانية إلى هنا وأترك لك الإطار الاحتياطي كي لا تضطر إلى الخروج لتتلفن إلى تاكسي أو لوري لسحب سيارتك، أعني..

جيراردو: أنت تجعلني أحسّ كما لو أنني قديس..

روبيرتو: كلا، كلا. صدقني إنّ ما أقوله لك الآن يخرج كلّه من القلب مباشرة. لجنتكم هذه يا عزيزي ستساعدنا على نحو فريد، أن نغلق فصلاً موجعاً في تاريخنا. سيد إيسكوبار، لا تقلق بشأني، العائلة ليست معي، إنني لوحدي هذه المرة في هذه العطلة الأسبوعية، ثم لا تنسَ أن علينا جميعاً أن نساعد بعضنا البعض، على الرغم من أنّ ما أقوم به هو شيء تافه، لكن..

جيراردو: أظن أن غداً سيكون يوماً جميلاً.

روبيرتو: غداً؟ وهل تستطيع أن تصل إلى سيارتك دون إطار احتياطي.. كلا بالطبع..

هذا يعني أنّ عليك أن تقوم في البحث عني، هه. وبعدها فكرت، أن من الممكن أيضاً أن أرافقك إلى هناك ومعي رافعتي لتصليح الإطار.. على فكرة، هل عرفت مصير رافعتك..

جيراردو: أعارتها زوجتي لوالدتها.

روبيرتو: لوالدتها؟

جيراردو: أنت تعرف طبع النساء..

روبيرتو: (يضحك) أوه، لا تحدثني، أعرفهن جيداً. إنهن اللغز الأخير في هذا الكون. البشرية والعلم سيصلان إلى اكتشاف كل شيء يا صديقي، إلا هذا اللغز العجيب الذي يسمونه المرأة. أتعرف ماذا كتب نيتشه مرة؟ قال، أعتقد أنه قال ذلك، قال، إننا لا نستطيع الهيمنة تماماً على الروح الأنثوية. لا أدري إن كان نيتشه هو الذي قال ذلك. لكن، مع ذلك، كن على ثقة أن نيتشه العجوز سيقول ذلك، لو عطلت سيارته في الطريق العام في عطلة نهاية الأسبوع وهو من دون رافعة..

جيراردو: ومن دون إطار احتياطي.

روبيرتو: ومن دون إطار احتياطي مثقوب!! ها (يضحك). ولذا لزاماً عليّ حقاً أن أكون معك، والعملية كلّها لا تستغرق وقتاً طويلاً...

جيراردو: تعرف، أحسّ كما لو أنّني أستغلّك أو أتطفّل عليك.

روبيرتو: أرجوك، لا تتحدث هكذا. أنا بطبعي رجل أحب مساعدة الناس، ثم لا تنسَ أنني طبيب. أعتقد أنني أخبرتك بذلك، أليس كذلك؟ وأرجو أن لا يساورك الظن أنني أساعد فقط الشخصيات المهمة في المجتمع. كلا.

جيراردو: لو كنت تعرف أنك ستواجه كل هذه المتاعب هكذا معي، لسرت بأقصى سرعتك كي لا...

روبيرتو: (يضحك) كلا، لا تقل ذلك. الواقع، إنّ ما قمت به شيء يشرِّفني.

الواقع، إن سبب مجيئي هذه الليلة، هو لتهنئتك، ولأقول لك إنك بالضبط هو الشخص الذي يحتاجه هذا البلد، من أجل معرفة الحقيقة مرة واحدة وإلى الأبد...

جيراردو: إن ما يحتاجه البلد حقاً هو العدالة. لكن، لو استطعنا أن نثبت في الأقل جزءاً من الحقيقة...

روبيرتو: ها، لقد سبقتني، لأن هذا هو بالضبط ما أردت قوله الآن. أقول حتى لو لم نتمكّن أن نحيل هؤلاء الناس إلى المحاكم، وحتى لو أنّهم احتموا بهذا العفو العام، ففي الأقل سنرى أسماءهم منشورة في الصحف..

جيراردو: كلا، كلا، ستبقى تلك الأسماء غير معلنة. لا يفترض بلجنة التحقيق الكشف عن أسماء مرتكبي تلك الجرائم أو...

روبيرتو: لكن في النهاية كل شيء في هذا البلد سيظهر إلى العلن. سيسألهم أبناؤهم وأحفادهم، سيقولون لهم، هل صحيح أنكم فعلتم ذلك؟ هل صحيح أنكم اقترفتم ما يتهمونكم الناس به؟ بماذا سيجيبون.. سيضطرون إلى الكذب. نعم. سيقولون هذا افتراء، أو هذا تآمر شيوعي، هراء كهذا.. لكن الحقيقة ستدوّن كل شيء عنهم وفي كل مكان. وسيشعر أبناؤهم بالأسى نحوهم، الأسى، والاشمئزاز.

جيراردو: من المحتمل في يوم ما...

روبيرتو: من المحتمل أن يخرج الناس عن طورهم ويتصاعد لهيب غضبهم، فبإمكاننا حينها حتى أن نلغي العفو العام.

جيراردو: أنت تعرف أن هذا شيء غير ممكن.

روبيرتو: أنا مع فكرة تصفية جميع تلك الزمرة، لكنني أستطيع أن أفهم أن...

جيراردو: عفواً، أنا لا أحب أن أخالفك الرأي يا روبيرتو، لكن من وجهة نظري أن عقوبة الموت، لن تَحلّ مطلقاً أيّ...

روبيرتو: وأنا مجبر أن أخالفك الرأي يا صديقي جيراردو بأن هناك بعض الناس ببساطة لا يستحقون البقاء على قيد الحياة، وما أردت لفت إنتباهك إليه حقاً، هو أنكم ستواجهون مشكلة كبيرة...

جيراردو: بل قل أكثر من مشكلة. أولاً، سيحارب الجيش لجنة التحقيق بكل الوسائل. تعرف، لقد أخبروا الرئيس بأن هذه التحقيقات هي نوع من الإهانة والإذلال، وأنها تشكل خطراً علينا، نعم إنها خطيرة على الحكومة الجديدة لأنها ستفتح الجروح القديمة. ظننت في البدء أن الرئيس يخشى أن يفعلها أو لا يمتلك الشجاعة في الاستمرار بها، لكنه وحمداً للّه مضى في مشروعه على كل حال. ونحن جميعاً نعرف كيف أن هؤلاء الناس هم على أهبة الاستعداد للقفز والانقلاب علينا لأتفه خطأ نقوم به.

روبيرتو: وهذه بالضبط هي وجهة نظري. حين أخبرتني قبل قليل إن الأسماء لن تعلن أو تنشر في الصحف، فقد جعلتني أفكّر بأنّك من الممكن أن تكون محقّاً في ذلك، ومن الممكن في

الآخر إننا سوف لن نعرف أبداً، أي نوع من البشر هم هؤلاء. هل كانوا هم يشكّلون نوعاً من..

جيراردو: المافيا.

روبيرتو: المافيا، نعم، تلك المنظَّمة السرية الرهيبة. لن يكشف أحد منهم عن الأسماء، وهكذا سيحمي كل واحد منهم ظهر الآخر. سوف لن تسمح القوات المسلّحة لرجالها أن يعطوا شهادة أو دليلاً إلى لجنتكم، وإذا ما استدعيتموهم للمثول أمام القضاء، فإنّهم ببساطة سيتجاهلون ذلك ولن يحضروا، وسيقولون لكم فلتذهبوا إلى الجحيم..

من المحتمل أنّك على حق. أما هذه الأشياء التي تحدّثت أنا عنها عن الأبناء والأحفاد فلم تكن سوى مجرد وهم أو حلم جميل. محتمل أن الأمر ليس سهلاً كما تخيّلته أنا.

جيراردو: لقد أخبرني الرئيس، وهذا سرّ بيننا، أن هناك الناس مستعدون لإعطاء إفاداتهم، شرط أن يبقى ذلك سراً.

وهكذا وما أن يبدأ الناس يتكلّمون حتى تبدأ الاعترافات والأسماء تتدفّق تماماً مثل تدفّق المياه. تماماً مثلما قلت أنت: في هذا البلد، كل شيء سينكشف للعيان في الآخر. لذا فإنّ حلمك من الممكن أن يبقى...

روبيرتو: أتمنى لو أستطيع مشاركتك تفاؤلك. لكن، للأسف، هناك أشياء لا يمكننا أن نعرفها مطلقاً.

جيراردو: إن صلاحياتنا محدّدة يا صديقي، ولكن ليست مقيّدة جداً..

نحن في أقل القليل نتوقع نوعاً من العقاب الأخلاقي، وهذا هو الحد الأدنى... مثل ما نحن لا نستطيع أن نتوقع العدالة من المحاكم...

روبيرتو: أتمنى أن تكون محقاً. أوه، لقد تأخر الوقت. يا إلهي، إنها الساعة الثانية! سأعود إليك في الغد مثلما اتفقنا، لنقل الساعة... التاسعة؟

جيراردو: لِمَ لا تبقى هنا، إن لم يكن أحد ما ينتظر عودتك إلى البيت...

روبيرتو: لا، قلت لك لا أحد.

جيراردو: حسناً، طالما أنك لوحدك...

روبيرتو: الواقع إن زوجتي سافرت لزيارة والدتها هي والأطفال، ولم أستطع السفر معهم، لأنني أكره السفر بالطائرة، ولا أحب التنقّل من مكان إلى مكان. ثم إن لدي مرضى عليّ مراجعتهم.

جيراردو: لكنهم ليسوا في منزلك الساحلي. على كل حال، لِمَ لا...

روبيرتو: أوه، هذا كرم عظيم منك، لكنني، حقيقة، أحب أن أكون لوحدي أرقب الأمواج وأسمع الموسيقى التي أحبها. الواقع، أنا جئت إلى هنا لمساعدتك وليس لإزعاجك. حسنا، سأعود غداً، لنقل الساعة...

جيراردو: روبيرتو، بيتك يبعد من هنا حوالي نصف الساعة..

روبيرتو: حوالي أربعين دقيقة عبر الطريق الساحلي. لكنني لو...

جيراردو: روبيرتو، انتهى الموضوع، ستبقى الليلة هنا. ستكون باولينا مسرورة جداً. وغداً ستتذوّق إفطارها اللذيذ. ساندويتشات شطائر لحم بالمايونيز.

روبيرتو: آه، إفطار! حسناً، أنا مقتنع الآن لأنني أحب شطائر اللحم بالمايونيز.

تعرف، تذكرت الآن، لا أظن أن لدينا حتى قنينة واحدة من الحليب في منزلنا الساحلي. الحقيقة أنني متعب بشكل لا يصدّق وأود الآن أن..

(تعود باولينا بسرعة عبر الشرفة إلى غرفة نومها)

جيراردو: لا أدري إن كنت ربما بحاجة إلى...؟ الواقع إن الشيء الوحيد الذي لا أستطيع تقديمه لك هنا حقاً يا صديقي هو فرشاة الأسنان...

روبيرتو: واحد من اثنين لا يمكنك فيه مشاركة أحد مطلقاً، الأول هي فرشاة الأسنان.

جيراردو: صحيح.

روبيرتو: تصبح على خير.

(يذهب الإثنان كل إلى غرفة نومه الخاصة. وقفة قصيرة. لا شيء سوى الصمت وضوء القمر).

جيراردو: (صوته يأتي من غرفة النوم) باولينا، حبيبتي... الدكتور، الرجل الذي ساعدني في الطريق، سينام هنا هذه الليلة. لأنه سيقوم بمساعدتي غداً في جلب السيارة.. باولينا، حبيبتي،

هل تسمعينني؟

باولينا: (صوتها يوحي بالنعاس) نعم، حبيبي.

جيراردو: (صوته قادم من غرفته) إنه صديق، فلا تخافي شيئاً... ولا تنسي غداً أن تجهِّزي لنا إفطاراً شهياً...

(يسمع صوت البحر فقط وسط عتمة جزئية)

المشهد الثالث

(تمر فترة زمنية وجيزة. تمر سحابة على وجه القمر. يرتفع صوت موج البحر، ومن ثم يتقهقر. صمت.

تدخل باولينا إلى غرفة الطعام والاستقبال، وعبر ضوء القمر يمكن رؤيتها وهي تتجه صوب البوفيه. تفتح الدرج وتخرج مسدساً، ومعه تخرج أيضاً شيئاً ما غير واضح، يظهر فيما بعد أنه زوج جوارب نسائية. تتوقف فجأة عن الحركة، ظناً منها أنها سمعت جيراردو وهو ينتقل إلى غرفة النوم. ترتدي الجوارب).

باولينا: جيراردو؟ جيراردو؟

(تقطع باولينا غرفة الطعام والاستقبال، باتجاه المدخل الذي يؤدي إلى غرفة نوم روبيرتو. تنتظر للحظة، وهي تصغي. تدخل غرفة النوم. تمضي بضع لحظات ومن ثم نسمع صوتاً مضطرباً ومكتوماً، يتبعه شيء أشبه بالصرخة. وبعدها يسود الصمت.

نرى باولينا خلال ضوء خافت جداً وهي تخرج من الغرفة وتعود إلى غرفة نومها. تفتح الباب وتأخذ المفتاح من

الجانب الآخر من الباب، ثم تقوم بقفله. تعود إلى غرفة النوم الاحتياطية، حيث يرقد الدكتور روبيرتو، ومن ثم نراها وهي تسحب شيئاً ما يشبه جسد إنسان. ترفع ذلك الجسد ثم تجلسه على كرسي وتقوم بربطه بحبل نحو ذلك الكرسي. تسرع إلى غرفة النوم الاحتياطية وتجلب سترة روبيرتو، وتخرج حزمة مفاتيح من جيبه ثم تستعد إلى الخروج من المنزل، لكنها تتوقف فجأة. تلتفت نحو الجسد، الذي يصبح واضحاً، إنه جسد الدكتور روبيرتو. تخلع سروالها الداخلي وتكورّه ثم تحشو به فم الدكتور روبيرتو وتلصق فمه بشريط لاصق ثم تغادر المنزل. بعد لحظات نسمع صوت سيارة روبيرتو تتحرّك حيث يكتسح ضوء مصابيحها الأمامية خشبة المسرح، فيكشف لنا وهج النور القوي روبيرتو ميراندا وهو مربوط بحبل إلى الكرسي، مغمى عليه بشكل كامل، وفمه ملصق بشريط لاصق. تغادر السيارة، وتسود العتمة من جديد..).

المشهد الرابع

(الوقت قبيل الفجر.. يفتح روبيرتو عينيه، محاولاً النهوض إلا أنه يدرك حالاً أنه مربوط إلى كرسي. يدير جسده بصعوبة، محاولاً بشكل يائس تحرير نفسه، لكنه يواجه باولينا وهي جالسة أمامه، تحمل في يدها مسدس. يتطلّع نحوها وتعبير الرعب واضح في عينيه).

باولينا: (بهدوء كامل) صباح الخير، دكتور... ميراندا... دكتور ميراندا، أليس كذلك؟ (توجّه المسدس نحوه بطريقة مازحة لكنّها معذِّبة)

كانت لدي صديقة في الجامعة إسمها ميراندا، آنا ماريا ميراندا. هل تربط صلة قرابة بعائلة ميراندا في سان ستيبان، هه؟

كانت ذكية جداً. ولديها ذاكرة قوية ومدهشة. كنا نسميها "موسوعتنا الصغيرة". لا أعرف الآن عنها أي شيء. ربما أكملت دراستها الجامعية وأصبحت طبيبة.. مثلك بالضبط. أما أنا فلم أحصل على شهادة الدبلوم. لأنني لم أستطع إكمال دراستي، دكتور ميراندا. والآن، لِنرَ إن كان

باستطاعتك أن تخمّن، لماذا لم أحصل على شهادة الدبلوم. هه؟ أنا واثقة جداً أن ذلك لن يتطلب من مخيلتك جهداً كبيراً، لمعرفة السبب. لحسن الحظ، كان هناك جيراردو. كان.. حسناً، لا أقول إنّه كان ينتظرني، لكن دعنا نقل إنّه كان ما زال يحبني. المهم، لم يكن في مقدوري العودة إلى الجامعة ثانية على الإطلاق. وكان ذلك من حسن حظي، لأنني أحسست يومها بنوع من.. حسناً، الفوبيا، كلا، كلا، فوبيا ليست هي الكلمة الصحيحة. كنت.. كنت أشعر بخوف ما محدَّد من دراسة الطب. لم أكن واثقة تماماً من اختيار مهنتي بعد. وهذه ليست نهاية العالم كما يقولون. لهذا السبب كنت أتساءل أنه ربما ليس من الصائب أن أعود ثانية إلى الجامعة، أو أطلب السماح لي مرّة أخرى في إعادة قبولي. وفي يوم آخر قرأت في الصحف أن القوات المسلحة قد جُرّدت من تلك المسؤولية في الجامعة، وإن الجامعة بدأت تسمح للطلبة المفصولين أن يتقدموا بطلباتهم لإعادة قبولهم ثانية.

أوه، كان يجب علي أن أهيِّئ الفطور بدل هذه الثرثرة. فطور شهيّ، هه؟ والآن، دعنا نرى، ماذا تحب أن.. ساندويتشان شطائر لحم بالمايونيز، أهذا ما قلته لجيراردو؟ أوه عذراً، ليس لدينا مايونيز. لدينا فقط شطائر لحم. جيراردو يحب هذه الشطائر أيضاً. سأتعرّف على أذواقك

الأخرى. أنا آسفة جداً بشأن المايونيز.
آمل ألا أكون قد أزعجتك لأنّني احتكرت الحديث لنفسي كل هذا الوقت. لكن ثق يا دكتور أنّك ستأخذ فرصتك الكاملة في الحديث. ربما السبب هو الكمّامة. فقط لأنني لا أريد أن أرفع هذه ال.. أنت تسميها "كمامة"، أليس كذلك؟ لا أريد رفعها على الأقل الآن ولحين أن يستيقظ جيراردو. أوه، كان يجب عليّ إيقاظه. هل أخبرتك أنني اتصلت بورشة التصليح من كابينة التلفون العمومي؟ إنهم سيأتون حالاً.
(تذهب إلى باب غرفة النوم، تفتحها بالمفتاح، وتبقيها مشرعة)
الحقيقة، الحقيقة، إنك تبدو مضجراً بعض الشيء.
(تخرج شريط الكاسيت من جيبها)
لقد أخذت هذا الشريط من سيارتك. أعتذر لأنني تجاوزت الأصول. ما رأيك لو نسمع شيئاً من شوبرت، ريثما أهيِّئ لك فطاراً لذيذاً، دكتور، هه؟ وهذه هي "الموت والعذراء" التي تحبّها، أليس كذلك؟ (تضع الشريط في جهاز التسجيل وتبدأ في سماع رباعية شوبرت "الموت والعذراء").
هل تعرف كم مضى من الوقت على آخر مرّة سمعتُ فيها هذه الرباعية؟ لم أكن أحتمل سماعها إطلاقاً، وكنت أغلق الراديو حين يبثّونها بعض الأحيان، وكنت أخشى أن أسمعها في المناسبات، لدرجة أنني أحاول ألا أخرج كثيراً

مع جيراردو لحضور تلك المناسبات الاجتماعية رغم ولعه الكبير بتلك المناسبات، أما إذا عيّنوه وزيراً، أوه، أوه، فسنجول في البلاد طولاً وعرضاً نصافح ونبتسم للكثير من الغرباء، لذا كنت أتمنى وأصلّي ألا يسمعني أحد شوبرت. مرة، وفي إحدى الأماسي تناولنا العشاء مع.. نعم، كانوا أناساً من كبار القوم، يعني، شخصيات مهمّة، وحدث أن مضيفتنا أسمعتنا سوناتة البيانو لشوبرت. حينها أصبت بما يشبه.. فكرت مع نفسي، ماذا أفعل، هل أذهب لأوقف الأسطوانة، أم أغادر المكان؟ وفجأة أحسست بجسدي يرتعش ثم أصبت في حالة إغماء، فاضطر جيراردو أن ينقلني فوراً إلى البيت، وتركنا الجميع يستمعون لشوبرت، من دون أن يعرف أحد سبب إغمائي. لذا كنت أتوسّل ألا يسمعونني شوبرت في أي مكان أذهب إليه. شيء غريب، دكتور ميراندا، أليس كذلك؟ أمعقول هذا؟ شوبرت، شوبرت هذا الذي كان وما يزال هو أحد أفضل الموسيقيين بالنسبة لي، يصبح كابوساً يلاحقني!

لكنّني كنت أطمئن نفسي دائماً بأنّ الزمن سيبعث يوماً ما شوبرت من القبر ليتكلّم. وأجلس أنا وأنت هنا نستمع إليه وهو يتكلّم وأعرف أنّني كنت وما أزال على صواب، في أنّ الكثير من الأشياء ستتغيّر من الآن فصاعداً، أليس كذلك؟ أتعرف أنّني كنت على وشك أن أرمي كل ما لديّ من

مختارات شوبرت في وعاء القمامة؟ هذا جنون!!
(ترفع صوتها، موجهة حديثها لجيراردو وهو في غرفة النوم)
جيراردو، أليست مذهلة هذه الرباعية؟
(تتجه نحو روبيرتو) وها أنا الآن بإمكاني الاستماع مرة أخرى إلى موسيقاري المفضَّل، بل وحتى الذهاب مع جيراردو لحضور الحفلات الموسيقية مثلما كنّا نفعل من قبل. هل تعرف أن شوبرت كان لوطياً؟ بالطبع تعرف ذلك. أنت الذي كنت تردّد ذلك مرات ومرات في أذني حين كنت تعزف "الموت والعذراء".
أهذا هو الشريط الأصلي دكتور، أم أنك تشتري كل عام شريطاً جديداً، كي تحافظ على نقاوة الصوت؟
(يدخل جيراردو قادماً من غرفة نومه، بادياً عليه النعاس)
صباح الخير عزيزتي. عفواً، هل الإفطار جاهز..؟
(يبذل روبيرتو جهوداً يائسة لتحرير نفسه من الحبل حال رؤيته جيراردو. جيراردو يراقب المشهد في ذهول تام).

جيراردو: باولينا! ما هذا؟ باووو. يا إلهي.. رو.. روبير.. روبيرتو.. دكتور ميراندا.
(يتجه نحو روبيرتو)

باولينا: لا تلمسه.

جيراردو: ماذا؟

باولينا: (تشهر المسدس نحوه مهدِّدة) لا تلمسه.

جيراردو: ما هذا ما الذي يحدث هنا بحق السماء!! أي نوع من الجنون هذا..

باولينا: إنّه هو.

جيراردو: أعيدي المسدس إلى مكانه..

باولينا: إنّه هو.

جيراردو: من؟

باولينا: الدكتور.

جيراردو: أي دكتور؟

باولينا: الدكتور الذي كان يعزف رباعية شوبرت.

جيراردو: الدكتور الذي كان يعزف رباعية شوبرت؟

باولينا: نعم، الدكتور ميراندا..

جيراردو: وكيف عرفت؟

باولينا: عرفته.

جيراردو: لكنّك قلت لي إنك كنت..

باولينا: نعم. قلت لك إنني كنت معصوبة العينين. صحيح أنني لم أكن أرى شيئاً، لكنني كنت أسمع. عرفته من صوته..

جيراردو: باولينا.. أنت مريضة.

باولينا: كلا، لست مريضة.

جيراردو: نعم، أنت مريضة.

باولينا: حسنا إذاً، أنا مريضة. لكني رغم ذلك أستطيع أن أميز الصوت.

ولا تنس يا جيراردو، أننا حين نفقد إحدى حواسنا، فإنّ الحواس الأخرى تعوِّضنا عن ذلك فتصبح أكثر حدّة وذكاء. هل هذا صحيح، دكتور ميراندا؟

جيراردو: الذاكرة المشوّشة لا تستطيع أن تبرهن على أي شيء من مجرّد صوت.

باولينا: إنّه صوته. لقد استطعت أن أميزه فوراً حال دخوله المنزل أمس. الطريقة التي كان يضحك بها، والجمل التي يستخدمها هي بالتحديد نفس الجمل.

جيراردو: لكن ذلك ليس...

باولينا: ربما، ربما تعتبر ذلك دليلاً ساذجاً وتافهاً، إلا أنّه وافٍ بالنسبة لي. هذا الصوت، الصوت، الصوت الذي لم يفارقني لحظة واحدة طوال كل هذه السنين. إنّه الصوت نفسه، المجاور لي، القريب إلى أذني، الصوت الذي كان يختلط باللعاب. هل تظن أنني سأنسى صوتاً كهذا الصوت؟ (تقلِّد صوت روبيرتو أولاً ومن ثم صوت الرجل الآخر)

صـــوت حاول معها أكثر.. أكثر. هيا، أكثر. هذه العاهرة تحتمل

الدكتور: أكثر، هيا، هيا، أكثر..

صـــوت دكتور، هل أنت واثق مما تقول؟ وماذا لو ماتت هذه العاهرة

الرجل: بين أيدينا؟

صـــوت كلا، كلا، هيا، هيا، حاول أكثر، أكثر، إنها لم تفقد الوعي

الدكتور: بعد. هيا قلت لك..

جيراردو: باولينا، اعطيني هذا المسدس أرجوك.

باولينا: كلا.

جيراردو: لا يمكننا التحدّث وأنت تشهرين السلاح بوجهي هكذا.

باولينا: على العكس، فحالما أبعد فوهة المسدس عنك، سينتهي الحديث كلّه بيننا أوتوماتيكياً، لأنّك ستستخدم وقتها قدرتك لتربح المناقشة.

جيراردو: باولينا، يجب أن تفهمي جيداً إن ما تقومين به الآن سيكون له نتائج خطيرة.

باولينا: خطيرة، هاه؟ نتائج متعذّر علاجها، هاه؟

جيراردو: نعم، متعذّر علاجها. دكتور ميراندا، إنني أطلب منك العفو عما بدر من زوجتي من..

باولينا: لا تطلب المعذرة من هذا الوضيع.

جيراردو: باولينا، فكّي وثاقه.

باولينا: كلا.

جيراردو: إذاً، أنا سأقوم بذلك.

يتقدَّم جيراردو نحو روبيرتو، وفجأة تنطلق رصاصة مدوية من مسدس باولينا. واضح جداً أن باولينا لا تجيد استعمال السلاح، لأنها شعرت بالذهول وارتدت إلى الوراء حين انطلقت الرصاصة من المسدس، تماماً مثل ردّة الفعل التي حدثت لروبيرتو وجيراردو).

جيراردو: لا تطلقي مرة أخرى، باول.. إعطيني المسدس. (صمت)

أنت لا تستطيعين أن تفعلي شيئاً كهذا.

باولينا: متى ستتوقف عن قولك لي ما الذي أستطيعه وما الذي لا أستطيعه.

"لا تستطيعين هذا، لا تستطيعين ذلك، لا تستطيعين ذاك".

إنني أستطيع أن أفعل أي شيء، وها أنا أفعل ما أريد.

جيراردو: ولكن ما هو السبب الذي يدعوك لمعاقبة هذا الرجل؟ إذا كنت تمتلكين سبباً وجيهاً ضدّه، فعليك أن توجِّهي له التهمة فقط في المحكمة وأمام القاضي..

(تضحك باولينا بازدراء)

نعم، القاضي. نعم، مهما يكن، سواء كان مرتشياً، فاسداً أو جباناً. باولينا، إن التهمة الوحيدة التي يمكنك أن توجهيها لهذا الرجل، هو إحسانه، نعم. وقوفه في الطريق السريع لمساعدتي وإنقاذي من المأزق الذي حلّ بي. لقد أوصلني إلى البيت، ولم يكتفِ بذلك، بل عرض عليّ فوق ذلك خدمة...

باولينا: آه، تذكرت. لقد اتصلت بورشة التصليح ويمكن أن يصل العامل في أيّ لحظة.

جيراردو: ماذا؟

باولينا: حين خرجت مبكراً هذا الصباح لإخفاء سيارة منقذك الطيب، اتصلت بالورشة ورتَّبت معهم كل شيء. لذا فإنّه من الأفضل أن ترتدي ملابسك الآن وتتهيَّأ للخروج، لأن العامل

يمكن أن يصل في أيٍّ لحظة.

جيراردو: باولينا، أرجوك، هل يمكننا معالجة الأمر بطريقة أخرى؟ هل بإمكاننا أن نحتكم إلى العقل فيما نفعل؟

باولينا: بإمكانك أنت أن تحتكم إلى العقل، بالطبع، لأنهم لم يؤذوك مطلقاً.

جيراردو: كلا. لقد آذوني أيضا. نحن لا نتنافس هنا من أجل الفوز بجائزة من منّا تعرّض أكثر للرعب والخطر والأذى. اللعنة... لنكن منصفين وواقعيين باولينا.

لو افترضنا، أقول حتى لو افترضنا أن هذا الرجل كان هو المسؤول عن تلك الحوادث المريعة، على الرغم من أن ذلك مستحيل، لأنه لا يوجد سبب لذلك. حسناً، ومع ذلك، لنفترض أنه هو الفاعل، فأنت حتى في هذه الحالة، ليس لديك الحق أن تتصرفي معه بهذا الشكل الشنيع.. باولينا، حبيبتي، أرجوك، انظري إلى ما تفعلين. فكّري في نتائج...

(صوت محرك شاحنة يسمع خارج المنزل)

باولينا: (تسرع باتجاه الباب، ثم تفتحه على النصف وتنادي بأعلى صوتها)

نعم، نعم إنّه قادم، إنتظر..

(تغلق الباب، ثم تقفله بالمفتاح، تغلق الستائر وتنظر إلى جيراردو).

هيا، ارتد ملابسك بسرعة، إنه عامل ورشة التصليح.

سيذهب معك إلى موقع السيارة ويقوم بسحبها من هناك. الإطار الاحتياطي موجود في الخارج.

لقد أخذت رافعته أيضاً (تشير نحو روبيرتو)

جيراردو: سرقت رافعته؟

باولينا: كي تحتفظ أمي لنفسها برافعتنا.

(وقفة قصيرة)

جيراردو: ألم يخطر ببالك، أنني... من الممكن أن أذهب لإخبار الشرطة بذلك؟

باولينا: أشك أن تفعل ذلك، لأنك رجل يؤمن إيماناً مطلقاً في قدرته على الإقناع. ومع ذلك، أتعرف ماذا سيحدث، لو أن الشرطة حقاً جاؤوا وحشروا أنوفهم في هذه القضية؟ سأطلق رصاصة الرحمة مباشرة في رأس هذا الرجل. وبعدها سأوجه فوهة المسدس إلى فمي وأضغط الزناد.

جيراردو: حبيبتي، أوه باولينا. كلا. أنت لست باولينا التي.. كيف يمكنك أن تتصرفي هكذا، أو تتحدثي بهذه الطريقة؟

باولينا: دكتور ميراندا، أخبر زوجي ما الذي فعلته بي لكي أصبح مجنونة هكذا.

جيراردو: حسناً، باولينا أريدك أن تخبريني بالضبط، ما الذي تنوين القيام به؟

باولينا: لست أنا بل نحن الإثنين. جيراردو، سنقوم بمحاكمته. هنا. في هذا البيت، وفي هذا اليوم، أنا وأنت. أم ننتظر لجنتكم

الموقَّرة، ذائعة الصيت، لتفعل ذلك؟

(تطفأ الأنوار)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(الوقت الآن هو منتصف النهار.. روبيرتو ما زال على نفس وضعه السابق. باولينا تتطلع نحو البحر عبر النافذة وظهرها نحوه، هازَّة جسمها بِرِقّة كما لو أنَّها تتحدّث معه).

باولينا: وحين أطلقوا سراحي.. أتعرف إلى أين ذهبت؟ لم أستطع الذهاب إلى بيتنا، بيت أهلي، لأن والدي ووالدتي كانا من المؤيِّدين جداً للقوات المسلّحة، ممّا اضطرني حينها إلى قطع علاقتي بهما تماماً. كنت، في حقيقة الأمر، أرى والدتي فقط، وفي فترات متباعدة جداً.. ألا ترى ذلك غلواً وحماقة مني أن أقص عليك كل ذلك كما لو أنني أجلس في كنيسة لأعترف، وأنت كاهن اعترافاتي، مع أنّ الكثير من هذه الأشياء لم أحكها مطلقاً لجيراردو نفسه، أو لأختي، ومؤكَّد لم أستطِع أن أحكيها لوالدتي، لأنّها لو عرفت ما هو مخبَّأ في رأسي لماتت حالاً. في حين أستطيع أن أخبرك أنت، أنت بالضبط بماذا أشعر.. أو بماذا شعرت يوم أطلقوا سراحي. في تلك الليلة.. حسناً، أنت لست بحاجة لأصف لك الحالة التي كنت فيها، لأنك أنت الذي قمت بفحصي بشكل دقيق وكامل قبل إطلاق سراحي، هه، أليس كذلك؟ دكتور، نحن هنا في مكان آمن، ألسنا كذلك؟ تماماً مثل

عجوزين متقاعدين يجلسان على مصطبة تحت الشمس.

(يحاول روبيرتو القيام بإيماءة كما لو أنّه يطلب الكلام أو يريد أن يحرِّر نفسه)

هل أنت جائع؟ الأمور ليست بهذا السوء، عليك أن تنتظر قليلاً لحين قدوم جيراردو.

(تقلِّد صوت الرجل)

صـــــوت الرجل: أيتها الفتاة الصغيرة، أيتها الراهبة الصغيرة، لا تقولي لي أنك ما زلت عذراء، ها؟

هيا أخبرينا عن ذلك الشاب السعيد الذي فضَّ لك بكارتك، هه؟ هيا، انطقي، من هو، وما اسمه؟.. (تعود إلى صوتها الاعتيادي).. لكنّني لم أستجب لعنفهم، ولم أخبرهم بأي شيء، وبقيت محتفظة بجيراردو في أعماقي.. عجيب كيف تنقلب الأمور.. لو أني بُحْت لهم باسمه، لما كان قد عُيِّن أو رُشِّح إلى أيّ لجنة من لجان التحقيق، ولكان اسمه ضمن تلك الأسماء التي سوف يتم التحقيق معها، وكنت سأقف أنا بنفسي أمام أعضاء تلك اللجنة لأخبرهم كيف التقيت به..

في الواقع قابلت جيراردو بعد الانقلاب العسكري مباشرة، حين كنا نساعد الناس في الحصول على اللجوء السياسي في السفارات الأجنبية. لقد أنقذنا حياة الكثير من الناس أنا وجيراردو، نعم، كنا نقوم بتهريب البعض منهم إلى خارج البلاد، لكي لا يُقتلوا. كنت يومها فتاة مسعورة وشجاعة، لا

أتردَّد في القيام بأيّ شيء. والآن، لا أستطيع الآن أن أتخيّل نفسي تلك الفتاة آنذاك. لم أكن أعرف شيئاً اسمه الخوف.. لكنني دفعت الثمن غالياً لقاء تلك الجرأة، نعم. في تلك الليلة التي تمّ فيها إطلاق سراحي، ذهبت إلى بيت جيراردو. طرقت عليه الباب، مرات ومرات ومرات، تماماً مثلما فعلت أنت في الأمس. وحين فتح لي الباب أخيراً، ظهر لي خلف الباب وكان قلقاً ومشوَّشاً، وشعره متناثر...

(صوت سيارة يسمع في الخارج. تفتح باب السيارة وتغلقه، تذهب باولينا إلى المائدة وتأخذ المسدس. يدخل جيراردو)

ها، جيراردو، كيف سارت الأمور؟ هل أصلحوا الإطار؟

جيراردو: باولينا، يجب أن تسمعيني.

باولينا: بالطبع سأسمعك. ألم أكن أسمعك طوال الوقت وعلى الدوام؟

جيراردو: أريدك أن تجلسي أولاً، وأريدك حقاً أن تسمعيني.

(تجلس باولينا)

باولينا، أنت تعرفين جيداً أنني أمضيت شوطاً كبيراً من حياتي وأنا ادافع عن القانون.

وإذا كان ثمّة شيء واحد يثير اشمئزازي من أزلام النظام القديم..

باولينا: بإمكانك أن تسميهم فاشيست..

جيراردو: لا تقاطعيني أرجوك. إذا كان هناك شيء ما يثير اشمئزازي منهم، فهو أنهم اتهموا الكثير من الرجال والنساء، ولفّقوا

شـهادات، وتجـاهلوا شـهادات، ولـم يمنحـوا أولئك المتهمـين فرصـة واحـدة للـدفاع عـن أنفسـهم. لـذا أقـول أن هـذا الرجـل يمتلك كامل الحق في الدفاع عن نفسه حتى لو أنَّه ارتكب إبادة جماعية.

باولينا: ومـن قـال لـك إنّنـي سـأحرمه مـن هـذا الحـق، جيـراردو. سأمنحك الوقت الكافي لتحدّث موكِّلك على انفراد. أنا كنت فقـط أنتظـر عودتـك، كـي نبـدأ موضـوعنا بطريقـة مرتّبـة ومنتظمة.

(تومئ له بإشارة كي يخلع الشريط اللاصق عن فم روبيرتو ومن ثم تشير إلى جهاز التسجيل)

دكتور ميراندا، يجب أن تعرف جيداً أن كل شـيء ستقوله، سيُسجَّل هنا.

جيراردو: أوه، يـا إلهـي، باولينـا، اسـكتي! دعيـه فقـط يقـول مـا يريـد قوله...

(وقفة قصيرة. تفتح باولينا جهاز التسجيل)

روبيرتو: (يسعل، وبعدها تخرج كلماته مبحوحة ومضطربة).. ماء..

جيراردو: ماذا؟

باولينا: إنّه يريد ماء.

(يسرع جيراردو ويجلب لـه قدحاً من المـاء.. يشرب روبيرتو الماء بطريقة مسموعة)

باولينا: لا شيء أفضل من الماء النقي المنعش، ها، دكتور؟

أفضل من أن يضطر الواحد إلى شرب بوله..

روبيرتو: سيد إيسكوبار. هذا شيء لا يُحتمل. شيء لا يُغتفر. لن أسامحك على ذلك أبدا ما دمت حيّاً.

باولينا: إنتظر، إنتظر قليلاً دكتور. قف هناك بالضبط. دعنا نرى إن كان المُسجِّل يشتغل أم لا.

(تضغط على بعض الأزرار، فنسمع صوت روبيرتو)

صوت روبيرتو يخرج من جهاز التسجيل: "سيد إيسكوبار. هذا شيء لا يُحتمل. شيء لا يُغتفر. لن أسامحك على ذلك أبدا ما دمت حيّاً.

صوت باولينا يسمع من خلال جهاز التسجيل: "إنتظر، إنتظر قليلاً دكتور. قف هناك بالضبط. دعنا نر..

(تغلق باولينا جهاز التسجيل)

باولينا: هل أنت جاهز. تذكر، إنه يُسجِّل كلّ شيء بشكل عجيب. لدينا الآن تصريح هام حول مبدأ التسامح. إنها وجهة نظر الدكتور ميراندا، يؤكِّد فيها أن ليس هناك مجال للتسامح!! وأنّه لن يتسامح أبداً ما دام هو حي!! وما رأيك يا دكتور ميراندا في ربط إنسان من قدميه وتعليقه إلى الأعلى لساعات وساعات؟ ما رأيك في أن تبقيه معلقاً لساعات طويلة، دون أن تعطيه الحق في الكلام، ها؟ موافق، هل تريد المزيد؟

(تضغط على أزرار أخرى)

روبيرتو: أنا لا أعرفك أصلاً أيّتها السيدة، ولم أرَكِ من قبل أبداً في حياتي. لكنني كطبيب، أستطيع القول بأنّك مريضة جداً. أنت يا سيدتي لديك أعراض نوع من الفصام هو على ما يبدو نوع من الطراز البدائي. أما أنت يا سيد إيسكوبار، فإنّك لست مريضاً، إلّا أنّ وضعك صعب جداً. أنت محام، مهمتك الدفاع عن حقوق الإنسان. أنت واحد من الذين عانوا من اضطهاد السلطة الديكتاتورية السابقة، مثلما أنا نفسي عانيت من ذلك أيضاً. إلا أنّ وضعك مختلف عن وضع الآخرين. فأنت بحكم مهنتك، مسؤول عن أي شيء تقوم به، وواجبك المهني والإنساني يحتم عليك الآن أن تحلّ وثاقي فوراً. ويجب أن تعرف أيضاً، أنّ كل دقيقة تمضي عليّ وأنا بهذه الحال، يضعك موضع الشريك في هذه الإساءة. ولهذا السبب فإنّك ستدفع عواقب ال...

باولينا: (تضع فوهة المسدس على صدغه) أنت تهدّد من، ها؟

روبيرتو: كلا، أنا لا أهدّد...

باولينا: نعم، كنت تهدّد.. إسمع، دعني أوضح لك شيئاً يا دكتور. إن زمن التهديد قد ولّى. ربما أنتم أولاد الزنا ما زلتم تصدرون الأوامر هناك في الخارج. أمّا هنا، في منزلي، فأنا التي تُصدر الأوامر. هل هذا واضح؟

روبيرتو: أريد أن أذهب إلى الحمام.

باولينا: تتبوّل أم...؟

جيراردو: يا إلهي، باولينا! (يلتفت نحو روبيرتو) دكتور ميراندا، صدِّقني أنها المرّة الأولى في حياتها تتحدّث بمثل هذه اللهجة.

باولينا: الدكتور معتاد على هذه النوعية من اللهجات... هيا، هيا يا دكتور قل، تتبوّل أم.. هه. من الأمام أم من الخلف؟ جلوساً، أم وقوفاً؟

روبيرتو: وقوفاً.

باولينا: جيراردو، فك الرباط عن رجليه. سآخذه إلى الحمام.

جيراردو: باولينا! هذا مستحيل. أنا من سيآخذه إلى هناك.

باولينا: كلا. سآخذه أنا بنفسي ولا تنظر إليّ هكذا. إنّها ليست المرة الأولى التي يخرج فيها عورته أمامي، جيراردو، أسرع دكتور، قف، قف. إحذر أن تتبوّل على سجادتي.

جيراردو: (يفك رباط رجليه ببطء وبشكل يؤلم روبيرتو. يتقدم روبيرتو مترنِّحاً باتجاه الحمام، تتبعه باولينا وهي تغرز فوهة المسدس في ظهره. جيراردو يطفئ جهاز التسجيل. تخرج باولينا ومعها روبيرتو باتجاه الحمام. بعد لحظات قليلة، نسمع صوت التبول في المرحاض وبعدها يسحب الماء. وفيما جيراردو يذرع المكان بتوتر تعود باولينا ومعها روبيرتو).

باولينا: جيراردو، إربطه ثانية. بقوة. (جيراردو يقوم بربط أرجل روبيرتو بالحبل).

شد الحبل بقوة، جيراردو.

جيراردو: باولينا، هذا شيء لا يحتمل. يجب أن أتكلَّم معك.

باولينا: تكلَّم، وهل مَنَعك أحد عن الكلام؟

جيراردو: على انفراد.

باولينا: ولماذا على انفراد؟ كان الدكتور يناقش كل شيء بحضوري، كانوا..

جيراردو: عزيزتي، أرجوك، أتوسَّل إليك، لا تكوني صعبة جداً إلى هذا الحدّ. أريد أن أتحدّث إليك على انفراد من دون أن يسمعنا. (يخرجان باتجاه الشرفة. يحاول روبيرتو خلال محادثتهما أن يرخي الحبل قليلاً وببطء عن رجليه) هذا جنون أيتها المرأة، ما الذي تنوين القيام به؟

باولينا: لقد أخبرتك بذلك، نحاكمه.

جيراردو: نحاكمه.. ماذا تعنين بالضبط؟ هل تريديننا أن نستخدم نفس أساليبهم؟ كلا باولينا، نحن نختلف عنهم. إنّ الثأر بهذه الطريقة هو ليس...

باولينا: هذا ليس بثأر. إنني أمنحه كل الضمانات التي لم يمنحها لي هو. لم يمنحني لا هو ولا زملاؤه ضمانة واحدة، جيراردو.

جيراردو: زملاؤه؟ هل تريدين أن تختطفي زملاءه أيضاً، وتأتي بهم إلى هنا، تربطيهم بنفس الطر...

باولينا: أريد أن أعرف أسماءهم واحداً واحداً.

جيراردو: وبعدها...

باولينا: بعدها أقتلهم؟ أقتله؟.. (وقفة قصيرة).. كلا، ما دام هو لم يقتلني، فأظن أنه ليس من العدل أن..

جيراردو: آه، شيء جيد أن أعرف ذلك. أعرف أنك تريدين قتلي أنا أيضاً.

إنني أحذِّرك باولينا، إذا كنت تنوين قتله، فعليك أن تقتليني أنا أولاً...

باولينا: إهدأ، إهدأ قليلاً. هل بإمكانك أن تهدأ؟ أنا ليست لديّ النيّة القوية جداً في قتله. ومؤكد جداً أنني لا أريد قتلك جيراردو. ولكنّك كعادتك، لا تصدِّقني..

جيراردو: والنتيجة باولينا، ماذا ستفعلين به؟ ماذا ستفعلين به؟ هل ستق.. تل.. ي..؟

ولماذا؟ هل لأن أحدهم قبل خمسة عشر عاماً مضت قد..

باولينا: قد ماذا؟ تكلّم.. قل لي ماذا فعلوا بي، جيراردو، قل ذلك.

(وقفة قصيرة)

كنت دائماً تتهرّب من قول ذلك. لم تكن تريد مطلقاً أن تقول ذلك. قله الآن.

جيراردو: أقول ماذا؟ إذا كنت أنت لم تخبريني بذلك، فكيف لي أن..

باولينا: قله الآن.

جيراردو: الشيء الوحيد الذي أعرفه، هو ما قلته لي عن الليلة الأولى تلك، عندما..

باولينا: عندما..

جيراردو: عندما..

باولينا: قل لي، هيا، هيا قل.

جيراردو: عندما قاموا بـ.. بتعذيبك، والآن قولي أنت ذلك.

باولينا: عذبوني. وماذا بعد؟ ماذا فعلوا بي غير ذلك، جيراردو؟

(جيراردو يذهب نحوها، ويأخذها بين ذراعيه)

جيراردو: (يهمس في أذنها: إغتصبوك).

باولينا: كم مرة؟

جيراردو: أكثر من مرة.

باولينا: كم مرة؟

جيراردو: أنت لم تخبريني بذلك مطلقاً. قلت أنك لم تحصي عدد المرات.

باولينا: هذا غير صحيح. كنت دائماً أحصي عدد المرات. جيراردو، أنا أعرف كم عدد المرات.

(وقفة قصيرة)

في تلك الليلة جيراردو، حين جئت إليك وبدأت أروي لك ما حدث لي. أتذكر ما وعدتني به؟ أتذكر جيراردو ما قرّرت أن تفعله بهم حين تعثر عليهم؟.. "في يوم ما يا حبيبتي، سنحيل أولاد الزنا هؤلاء، جميعاً إلى المحاكم. وستطوف عيناك" أتذكّر هذه الجملة تماماً لأنّها بدت لي جملة شعرية.. "ستطوف عيناك فوق وجوههم واحداً واحداً، وهم

يستمعون إلى قصتك. سنفعل ذلك، وسترين ذلك.".. والآن يا حبيبي، أخبرني لمن أذهب الآن؟

جيراردو: لكن ذلك كان قبل خمسة عشر عاماً.

باولينا: قل لي، من تظن سيستمع إلى اتهاماتي الموجهة ضدّ هذا الرجل، من، جيراردو من؟ لجنتك؟

جيراردو: لجنتي؟ أيّ لجنة؟ هه، بفضلك يا سيدتي ربما لن نستطيع حتى أن نحقّق في بقيّة الجرائم الأخرى. ثم إنّها لم تعد لجنتي بعد اليوم، لأنني سأقدّم استقالتي.

باولينا: أنت تغالي دائماً. أنظر إلى التجاعيد كيف بدأت تحفر أخاديدها على جبينك، حتى أنك تبدو أكبر سناً من سنّك الحقيقي بعشر سنوات. وعندما يرى الناس صورك في الصحف، حينها لن يصدِّقوا أنّك أصغر عضو في اللجنة.

جيراردو: باولينا، لقد أخبرتك توّاً بأنّني سأستقيل.

باولينا: لماذا تستقيل؟ أنا لا أفهم سبب ذلك.

جيراردو: أنت لا تفهمي سبب ذلك، لكنّ جميع الناس في هذا البلد سيفهمون السبب، خصوصاً أولئك الذين لا يرغبون بأيّ نوع من التحقيقات حول ما حدث في الماضي. الشخص الذي اختاره الرئيس عضواً في هذه اللجنة، والذي وجب أن يكون نموذجاً للاتزان..

باولينا: سنختنق من هذا الاتزان الزائد!

جيراردو: والنزاهة، هذا الشخص بالذات، الذي هو أنا، سمح لإنسان

بريء أن يُربط ويُعذَّب في منزله. باولينا، أتعرفين كيف ستستغلّ الصحف المعادية، تلك التي كانت في خدمة الديكتاتورية، حادثة كهذه؟ إنها ستوظف حوادث كهذه من أجل إضعاف، بل وربما تقويض لجنة التحقيق؟

(وقفة قصيرة)

هل تريدين عودة هؤلاء الناس إلى السلطة ثانية؟ هل تريدين أن يعود الزمن إلى الوراء، يوم كان هؤلاء الناس هم الذين يقرِّرون مصيرنا، حياتنا وموتنا؟ إذا كان هذا هو ما تريدين، فعليك أن تتحمّلي هذه النتائج. باولينا، إعتذري عن الخطأ وأطلقي سراح هذا الرجل. لقد تحدّثت معه، ويبدو لي أنّه موضع ثقة ويمكننا أن نأتمنه من الناحية السياسية...

باولينا: آه يا صغيري الطيب. لماذا تنطلي عليك هذه المخادعات بسرعة؟

جيراردو، لقد أقسمت لك والقسم شيء مقدّس، بأن هذه المحكمة الخاصة سوف لن تؤثّر عليك سلباً أو على اللجنة. هل تظن حقاً أنني سأقف حجر عثرة في طريق عمل اللجنة؟ أو أن أحول دون بحثك لمعرفة جثث المفقودين من السجناء، وكيف تمّ تنفيذ أحكام الإعدام بالناس، وأين تمّ دفنهم؟ المشكلة جيراردو، أن أعضاء اللجنة يتعاملون فقط مع قضايا الموتى، مع أولئك الذين لا يستطيعون أن يتكلّموا لأنّهم موتى. أما أنا فأستطيع الكلام. لقد كان ذلك منذ زمن

طويل حين لم أكن يومها أستطيع أن أتمتم بحرف أو كلمة، لم أكن قادرة على أن أفتح فمي لأهمس سراً بما أفكِّر به، سنوات وأنا أعيش الخوف لوحدي.. لكنّني لم أمت. كلا، لم أمت. لقد ظننت بأنّني مت، لكنّني لم أمت، وبمقدوري الآن أن أتكلّم. نعم، بمقدوري الآن أن أتكلّم. لذا أستحلفك بالله أن تدعني أقول كلمتي، وتواصل أنت عملك مع اللجنة. وصدقني، كل شيء سيبقى سراً بيننا.

جيراردو: لكنّني في كل الأحوال عليّ أن أقدّم استقالتي، اليوم قبل الغد.

باولينا: حتى وإن بقي الأمر سراً بيننا؟

جيراردو: نعم.

باولينا: آه، إذاً في هذه الحالة ستستقيل بسبب زوجتك المجنونة، هه؟ باولينا التي جُنَّت لأنّها بقيت صامتة طوال كل تلك السنين، وهي مجنونة الآن لأنّها قادرة على الكلام، أليس كذلك؟

جيراردو: الحقيقة، إذا كانت الحقيقة تعني لك شيئاً بعد كل هذا، إنّ ما قلتيه صحيح وهو واحد من بين الكثير من الأسباب، نعم.

باولينا: الحقيقة، الحقيقة، ها؟

(وقفة قصيرة)

هل بإمكانك أن تنتظر للحظة.

(تذهب إلى الغرفة الأخرى وتكتشف أن روبيرتو على وشك

أن يحرِّر نفسه من القيد، فيَكُفّ عن محاولته تلك حالما يراها. تشدّ وثاقه ثانية وبقوّة، ويتّخذ صوتها فجأة نبرة رجولية، ثم تقوم بتقليد صوت الرجل)

صوت الرجل: هيه، ألم تعجبك ضيافتنا؟ هل تريدين أن تغادري بهذه السرعة أيتها العاهرة، ها؟ صدقيني إنّك لن تستمتعي بأوقات جميلة في الخارج كالتي قضيتها معي هنا، يا حلوة. والآن، قولي لي أنك ستشتاقين لي. قولي لي ذلك على الأقل.

(تبدأ باولينا وبشكل بطيء تتحسّس بيديها صعوداً ونزولاً جسد روبيرتو، بشكل يبدو كما لو أنّها تريد ملامسته بلطف، وبعدها تعود إلى الشرفة)

باولينا: جيراردو، سبق لي وأخبرتك أنّني ميزت صوته، أما الآن فقد عثرت على دليل آخر. بشرته ورائحة جسده، جيراردو.

(وقفة قصيرة)

إفترض يا جيراردو أنني استطعت أن أبرهن لك عبر شكوكي هذه، أن دكتورك هذا هو المذنب، فهل ستطلب مني أيضاً أن أطلق سراحه؟

جيراردو: نعم. لأنّ ثمة سبباً أكبر يدعوك إلى أن تطلقي سراحه. لا تنظري إليّ هكذا. تخيّلي ماذا سيحدث لو أن كلّ واحد من الناس فعل ما فعلته أنت. باولينا، أنت بهذا فقط تشبعين رغبتك الشخصية، حين تقرِّرين الحكم لوحدك وتنفِّذين

العقوبة بنفسك.

باولينا، أنت بهذا تسهمين في تأليب الناس بعضهم ضد بعض وتشاركين الأعداء في تقويض الديمقراطية في البلاد.

باولينا: ها أنّك بدأت تغالي ثانية. لا خوف على الديموقراطية، ولا خوف على الناس لأنّ ذلك كلّه سيبقى سراً، ولا أحد سيعرف ماذا يجري هنا.

جيراردو: الطريقة الوحيدة التي تؤكِّد لك ما أقول هو أن تقتليه، وعندها سترين كيف أننا سننتهي نحن الإثنان معاً. باولينا، حرِّري هذا الرجل ودعيه يذهب، إن لم يكن من أجل مصلحة البلاد، فمن أجل مصلحتنا نحن.

باولينا: وأنا؟ ماذا بشأني أنا؟ أنظر إلي، أنظر إلي!

جيراردو: نعم، حبيبتي، إنني أنظر إليك. أنت، أنت ما زلت سجينة، ما زلت مقيمة هناك معهم تحت، في تلك الطوابق السفلية المغلقة. باولينا، أنت لم تستطيعي أن تغيّري أي شيء من مسار حياتك منذ خمسة عشر عاماً. لا شيء على الإطلاق. باولينا، نعم، إنني أنظر إليك الآن بدهشة واستغراب. ما أن أتيحت لنا الفرصة لنبدأ كل شيء من جديد، حتى عدت من جديد تفتحين الجراحات القديمة، كل الجراحات... ألا يكفي. ألم يحن الوقت لنا كي...؟

باولينا: ننسى؟ جيراردو، أنت تطلب مني أن أنسى.

جيراردو: حرِّري نفسك منهم، باولينا. هذا هو كل ما أطلبه منك.

باولينا: وأطلق سراحه لكي يعود ثانية في السنوات القليلة القادمة؟

جيراردو: أطلقي سراحه، وسوف لن يعود مرة أخرى أبداً.

باولينا: وسنلتقيه في تافيلي ونبتسم له، وسيعرِّفنا على زوجته الجميلة ونبتسم، وتتاصفح الأيادي، هه، وسنتحدّث عن الطقس ونقول كم هو دافئ في هذا الوقت من العام، و..؟

جيراردو: ليس بالضرورة أن نبتسم له، لكن في الأساس نعم، هذا ما يجب علينا فعله. ونبدأ حياتنا من جديد. نعم.

(وقفة قصيرة)

باولينا: إسمع، جيراردو، أقترح عليك أن نصل إلى حلّ وسط بهذا الشأن.

جيراردو: لم أفهم! ماذا تقصدين؟

باولينا: تسوية، إتفاق، مفاوضات.

كل شيء في هذا البلد يعمل الآن وفق مبدأ الإتفاق في الرأي. أليس هذا هو ما تتطلّبه المرحلة الانتقالية؟ لقد منحونا الديموقراطية، إلا أنّهم أبقوا هيمنتهم على الإقتصاد والقوات المسلّحة، أليس كذلك؟ اللجنة بإمكانها أن تحقِّق في الجرائم، من دون أن يعاقب أحد من مرتكبي تلك الجرائم، هه؟ الحرية متاحة للجميع. لديك الحرية أن تقول أي شيء تريد، شرط أن لا تقول كل شيء تريده، أليس كذلك؟

(وقفة قصيرة) لذا وجب أن تعرف يا جيراردو بأنَّني لست إمرأة حمقاء، متوحشة، خالية من روح المسؤولية أو..

مريضة.. كلا، كلا، كلا يا جيراردو. أنا أقترح أن نصل أنا وأنت إلى إتفاق. أنت تريد أن ترى هذا الرجل طليقاً دون أن يتعرض إلى إيذاء جسدي، وأنا أريد.. (صمت).. هل تريد أن تعرف حقاً ماذا أريد؟

جيراردو: نعم باولينا، أحبّ أن أعرف ماذا تريدين.

باولينا: عندما سمعت صوته ليلة أمس، قفزت إلى رأسي فكرة واحدة وحيدة، هي نفس الفكرة التي ظلّت تراودني طوال كل تلك السنين. أتذكر حين كنت تفاجئني أحياناً وأنا أجلس لوحدي شاردة الذهن ذاهلة؟ أتعرف بماذا كنت أفكر حينها جيراردو؟ كنت أفكّر، متى سيأتي الوقت الذي أستطيع فيه أن أفعل بهم تماماً مثلما فعلوا بي، لحظة بلحظة، وأن أستخدم نفس الآلات التي استخدموها معي، آلة بآلة، وخصوصاً هذا الدكتور.. لأن أصحابه الآخرين كانوا سوقيين ومتوحشين، أما هو فكان يعزف شوبرت، تصوّر! وكان يتحدّث عن العلم، بل حتى إنّني سمعته مرّة يستشهد بنيتشه.

جيراردو: نيتشه!

باولينا: كنت خائفة أنا نفسي من تلك الفكرة. كنت أتساءل، هل من المعقول أنني أحمل كل هذه الضغينة في داخلي؟ لكنّها كانت الطريقة الوحيدة التي تجعلني أغمض عيني في الليل وأنام، الطريقة الوحيدة التي أستطيع بها الخروج معك إلى حفلات الكوكتيل على الرغم من حقيقة أنني لم أكن أستطيع

أن أتفادى أن أسأل نفسي، ماذا لو أن أحداً من بين أولئك المدعوين هناك كان واحداً منهم؟ ربما ليس نفس الشخص تماماً، بل واحد منهم.. حسناً، كنت أتخيّل أنني سوف.. سوف ماذا.. سوف أغطس رؤوسهم في برازهم أو أعرض أعضاءهم إلى التيار الكهربائي. إن فكرة التيار الكهربائي كانت تخترق جسدي وتذكِّرني بما حدث، لم تكن تفارقني حتى حين كنا نمارس الحب أنا وأنت، بل وفي قمّة النشوة أحياناً.. لكنني كنت أمثّل، أتظاهر أنني أحسّ باللَّذة كي لا تراودك فكرة أنني كنت أفكر بهم في تلك اللحظة، تجعلك تظن أن البرود الجنسي كان بسببك أنت. أوه جيراردو.

جيراردو: أوه حبيبتي، باولينا.

باولينا: فعندما سمعت صوته ليلة أمس، خطرت في رأسي فكرة واحدة، هو أن يتم إغتصابه أمامي.. أردت أحد ما، يغتصبه هنا وأمامي. ذلك هو تماماً ما فكرت به، لكي يعرف ولو لمرّة واحدة معنى الاغتصاب... وبما أنني لا أستطيع القيام بذلك، فقد فكرت أن هذه العقوبة لن ينجزها أحد سواك.

جيراردو: ماذا؟ كفى باولينا. يكفي هذا أرجوك.

باولينا: وبعدها سألت نفسي، هل بإمكاننا أن نستعمل المكنسة. نعم، المكنسة.

جيراردو، أقصد عصا المكنسة. لكنني أدركت حينها أن هذا ليس هو الشيء الذي أريده، أعني إيذاءه جسدياً، كلا، ليس

هذا. وأخيراً.. هل تعرف النتيجة التي توصلت إليها أخيراً، هل تعرف ما هو الشيء الوحيد الذي أسعى إلى تحقيقه؟

(وقفة قصيرة)

أن يعترف. أريده أن يجلس أمام جهاز التسجيل هذا ويعترف لي عمّا فعل، ليس ما فعله بي فقط، بل وما فعله بالآخرين. وبعد ذلك يدوّن كل اعترافاته بخطِّ يده ويوقِّع. وسأحتفظ بنسخة من اعترافاته لتبقى معي إلى الأبد، وهي تتضمّن جميع المعلومات، الأسماء، والتواريخ، كل التفاصيل. ذلك هو ما أريده تماماً.

جيراردو: أن يعترف، وبعدها تدعينه يذهب.

باولينا: سأدعه يذهب.

جيراردو: ولن تطلبي منه شيئاً آخر؟

باولينا: لا شيء.

(وقفة قصيرة)

وعندما يصبح اعتراف الدكتور ميراندا في يدي، حينها ستكون أنت آمناً، وبإمكانك أن تبقى في اللجنة، وسوف لن يجرؤ وقتها أن يبعث برجاله القتلة من قطّاع الطرق ليؤذوننا، لأنّه سوف يعرف أنّه لو فعل ذلك، فإنّ هذه الاعترافات ستنشر في اليوم التالي في كلِّ الصحف. أتفهم

ذلك؟

جيراردو: وهل تتوقَّعين منّي أن أصدّق بأنّك سوف تدعينه يخرج حين ينتهي من اعترافاته؟ وهل تتوقَّعين منه هو أن يصدِّق بأنّك سوف لن تفجِّري رأسه حالاً ما أن ينتهي من اعترافاته؟

باولينا: لا أظن أنّ لديكما أنتما الاثنين خياراً آخر.

إسمع، جيراردو، إنّك بحاجة إلى إثارة الرعب في نفس هذه الحثالة. قل له إنّني أخفيت سيارته، لأنّني أستعد لقتله. قل له ذلك. وقل له إن الطريقة الوحيدة التي تثنيني عن قتله، هي أن يعترف. قل له ذلك. وقل له أيضاً أن لا أحد يعرف بوصوله إلى هنا ليلة أمس، وأن لا أحد سيعثر عليه مطلقاً. آمل أن تقنعه كي يحتفظ برأسه.

جيراردو: هل قلت أقنعه؟

باولينا: أليس ذلك أفضل لك من إغتصابه.

جيراردو: باولينا، هناك مشكلة ربما لم تخطر ببالك. ماذا نفعل إذا ظهر أن ليس لديه شيء ليعترف به؟

باولينا: قل له إذا لم يعترف فسوف أقتله.

جيراردو: ولكن ماذا لو ظهر أنه ليس مذنباً؟

باولينا: أنا لست مستعجلة. أخبره أنني أستطيع أن أنتظر لعدة شهور لكي يعترف.

جيراردو: باولينا أنت لا تصغين لي. أقول، بماذا سيعترف إذا كان بريئاً؟

باولينا: بريئاً؟ هه، عندئذ تكون قد حلَّت عليه لعنة السماء.
(تختفي الإضاءة)

المشهد الثاني

(فترة الغداء، جيراردو وروبيرتو يجلسان إلى مائدة الطعام، روبيرتو ما زال مقيّداً، لكن هذه المرة من يديه من الأمام. جيراردو كان انتهى تواً من إحضار صحون الحساء. باولينا تراقب المشهد من الشرفة حيث بإمكانها أن تراهما من دون أن تسمعهما. روبيرتو وجيراردو يبقيان للحظات صامتين وهما يتطلَّعان نحو الطعام).

جيراردو: ألست جائعاً، دكتور ميراندا؟

روبيرتو: روبيرتو. إسمي روبيرتو. أرجوك أن تتعامل معي من دون كلفة، مثلما كنت تعاملني في..

جيراردو: أفضِّل أن أتحدّث معك كما لو أنّك أحد زبائني، دكتور ميراندا. هذا سيسهِّل الأمر عليّ. أظن أنّ عليك أن تأكل شيئا.

روبيرتو: لست جائعاً.

جيراردو: دعني إذا سمحت..

(يملأ جيراردو الملعقة بالحساء محاولاً إطعامه كما لو أنّه يطعم طفلاً. يطعمه ويطعم نفسه في ذات الوقت، خلال المحادثة المتواصلة بينهما)

روبيرتو: إنها مجنونة، أرجو أن تعذرني لأنني أقول ذلك، جيراردو. لكنني أقول لك إن زوجتك مجنونة...

جيراردو: خبز؟

روبيرتو: كلا، شكراً.

(وقفة قصيرة)

عليها أن تتلقّى علاجاً نفسياً...

جيراردو: أنت علاجها النفسي للأسف الشديد، دكتور.

(يمسح له فمه بمنديل)

روبيرتو: إنها ستقتلني.

جيراردو: إذا لم تعترف.

روبيرتو: أعترف بماذا؟

جيراردو: ربما أنت تعرف يا دكتور، أن رجال الأمن قد استخدموا بعض الأطباء كمستشارين لهم أثناء جلسات التعذيب..

روبيرتو: المجلس الطبي قد سمع بتلك الحالات، وراح يستقصي عنها ويحقّق بها في كل مكان في البلاد.

جيراردو: إنها مقتنعة أنك هو ذلك الطبيب الذي... فإذا لم تجد طريقة تثبت فيها العكس، فإنها..

روبيرتو: كيف أستطيع أن أثبت لها العكس؟ ليس أمامي سوى أن

أغيّر صوتي، لأثبت لها أن هذا ليس صوتي، إذا كان صوتي، اللعنة، هو دليلها الوحيد. ليس لديها أي دليل آخر، لا دليل على الإطلاق..

جيراردو: وبشرتك. لقد ميزت بشرتك أيضاً.

روبيرتو: بشرتي؟

جيراردو: ورائحة جسدك.

روبيرتو: رائحة جسدي؟ لا.. هذه أوهام تخرج من عقل مريض فعلاً. إنّها من الممكن أن تلقي القبض على أي شخص يتخطّى هذا الباب و...

جيراردو: وأنت الذي تخطى هذا الباب لسوء الحظ.

روبيرتو: إسمع جيراردو. أنا شخص مسالم، وبإمكانك أن تسأل أي إنسان عنّي. العنف، لا أحب هذه الكلمة، إنها تمرضني. ولست قادراً على استعمال العنف.. إنني آتي إلى هنا، إلى منزلي الساحلي كي أستمتع بالبحر. أتمشّى على الساحل، أرقب الأمواج، أجمع الحصى الملساء، وأستمع إلى الموسيقى...

جيراردو: شوبرت؟

روبيرتو: شوبرت، نعم شوبرت. ولِمَ لا؟ لا يوجد ثمّة سبب يدعوني إلى الشعور بالخجل لأنّني أحب شوبرت. أحب فيفالدي أيضاً، موتسارت، تيليمان. ومع ذلك، لا أعرف حقاً، أي صدفة حمقاء جعلتني أجلب شريط شوبرت أمس هنا معي

إلى الساحل. والأكثر حماقة من كل هذا، هو وقوفي وسط الطريق السريع لشخص مجنون كان يلوّح بيديه مثل طاحونة هوائية كي أنقذه من مأزقه. إسمع، سيد جيراردو، إنّها مسؤوليتك أنت الآن في أن تخرجني من هنا.

جيراردو: أعرف.

روبيرتو: آه، جسمي يؤلمني، كل شيء يؤلمني، قدماي، يداي، ظهري. هل تستطيع أن ترخي الحبل قليلاً كي...

جيراردو: روبيرتو، ولكي أكون صادقاً معك. لا توجد أمامك سوى طريقة واحدة كي تنقذ نفسك...

(وقفة قصيرة)

أعتقد أن علينا أن نشبع رغبتها.

روبيرتو: نشبع رغبتها؟

جيراردو: علينا مسايرتها، تهدئتها، إرضاؤها. علينا أن نشعرها أننا.. أنك ترغب أن تتعاون..

روبيرتو: أنا لا أفهم كيف أستطيع أن أتعاون..

جيراردو: نلبي رغبتها، نجعلها تصدّق أنّك...

روبيرتو: نجعلها تصدّق أنّني ماذا...

جيراردو: لقد وعَدَتني أنّك لو اعترفت، فستكون على استعداد لإطلاق..

روبيرتو: ولكن ليس لديّ شيء أعترف به!

جيراردو: أعتقد أنّ عليك في هذه الحالة أن تلفّق شيئاً ما. الطريقة

الوحيدة التي تدعها تعفو عنك هو أن...

روبيرتو: (يرفع صوته ساخطاً) ليس لديها شيء ضدي كي تعفو عنّي. إنّني لم أفعل شيئاً، ولا شيء لديّ لأعترف به، هل تفهم؟

(تنهض باولينا من على مقعدها في الشرفة جراء سماعها صوت روبيرتو، وتتحرّك بإتجاههما)

بدل أن تقترح عليّ مثل هذه الحلول المخزية، عليك أن تذهب وتقنع تلك المرأة المجنونة، زوجتك، أن توقف هذا السلوك الإجرامي، قبل أن تلحق الأذى بك وبمهنتك، وتذهب إلى السجن، أو إلى مستشفى المجانين. قل لها ذلك. أم أنّك غير قادر حتى أن تفرض أمراً صغيراً في بيتك؟

جيراردو: روبيرتو، أنا...

(تدخل باولينا من الشرفة)

باولينا: هل هناك مشكلة، حبيبي؟

جيراردو: كلا.

باولينا: لكنني أراك متوتراً وقلقاً بعض الشيء، هه..

(وقفة قصيرة)

حسنا، أظن أنكما انتهيتما من تناول الحساء. لا أحد يستطيع بعد الآن أن يدّعي أنّني لست طبّاخة جيدة، أو أنّني لست ربّة بيت مثالية. هه؟

والآن.. فنجان من القهوة، دكتور؟ فنجان صغير؟ (ترفع صوتها قليلاً) دكتور، إنّني أتحدث إليك. ألَم تعلِّمك أمّك يوماً، أنّه عندما...

روبيرتو: والدتي ليس لها علاقة في هذا الأمر. أنا أمنعك من الإشارة إلى والدتي ثانية.

(وقفة قصيرة)

باولينا: أوه، آسفة جداً جداً، لأنك على حق تماماً هذه المرّة دكتور ميراندا.

والدتك ليست مسؤولة عن أفعالك. على فكرة، لا أعرف لماذا يصرّ الرجال دائماً على مهاجمة الأمَّهات.. لماذا يقولون دائماً "إبن العاهرة" مثلاً وليس إبن الـ (...) لا أستطيع حتى أن أكمل الكلمة. لا أعرف حقاً لماذا يلصقون هذه الصفة بالأم وليس بالأب، علماً أنّ الآباء هم الذين يعلِّمون أولادهم الـ...

جيراردو: باولينا، أرجوك أن تتركينا لوحدنا كي نكمل حديثنا؟

باولينا: بكلِّ سرور. سأترككما أيها الشابان (ساخرة) كي تُصلِحا العالم!.

(تغادر ثم تتوقّف مستديرة نحوهما)

حبيبي، إذا أراد الدكتور أن يتبوّل، فقط طقطق لي بأصابعك هكذا (تلامس أصابعها وتضربهما ببعض فنسمع إيقاع الطقطقة) وسآتيك كالبرق.

(تعود إلى نفس المكان في الشرفة وهي تراقب)

روبيرتو: إنها مجنونة بكل معنى الكلمة.

جيراردو: حين يمتلك المجانين السلطة فعليك أن تشبع رغباتهم. وفي حالة باولينا، هو أن تعترف...

روبيرتو: ولكن بماذا أعترف؟ أن..

جيراردو: محتمل أنّه سيحرِّرها من أوهامها. كيف لي أن أعرف ما يدور في رؤوس الناس بعد كل الذي حدث.. على أيٍّ حال، أظن أنّني أفهم ما تريده باولينا. إنّ ما تريده يتوافق وما يريده الناس في كلّ البلاد. إنّها الحاجة إلى توثيق كلّ ما حدث لنا. الحاجة إلى أن نترجم ما حدث لنا إلى كلمات.. الحاجة إلى أن نتحدث بصوت عال عن كل ما حدث.

روبيرتو: وأنت؟

جيراردو: أنا؟

روبيرتو: نعم أنت. ماذا ستفعل بعد ذلك؟

جيراردو: بعد ماذا؟

روبيرتو: أنت تصدّقها، أليس كذلك؟

جيراردو: لو كنت أعتقد أنّك مذنب، لما وجدتني أتشبّث بكل هذه الطرق اليائسة من أجل إنقاذك..

روبيرتو: إسمع. إنك تتآمر معها ضدي منذ البداية. هي تلعب دور الشرير، وأنت دور الطيب، و..

جيراردو: ماذا تعني بـ.. الطيب..

روبيرتو: لعبة الأدوار، هي تلعب دور الشرير وأنت دور الطيب، لترى إن كان بإمكانك أن تجعلني بهذه الطريقة أن أعترف. وحالما أعترف، فإنّك، أنت، نعم أنت الوحيد وليست هي، من سيقتلني. وهذا هو ما يفعله أي رجل، أي رجل حقيقي إذا اغتصبوا زوجته، وهذا ما سأفعله أنا نفسي لو أن أحداً قام باغتصاب زوجتي. أتعرف ما سأفعل. هـه. سأقطع خصيتيه. لذا أريدك أن تخبرني الآن، هل تعتقد أنني ذلك الطبيب الذي..

(وقفة. ينهض جيراردو)

إلى أين أنت ذاهب؟

جيراردو: أنا ذاهب لأجلب المسدس كي أفجر رأسك.

(وقفة قصيرة. يتصاعد غضب جيراردو شيئاً فشيئاً)

سأتّبع أولاً نصيحتك يا ابن العاهرة وأقطع لك خصيتيك، أيها الفاشي القذر.

وهذا ما يفعله الرجل الحقيقي، أليس كذلك؟

أنا لست من أمثالك من الرجال، ممن يتباهون بذكوريتهم، الرجال الشاذون، الرجال الذين يقتلون الناس، الرجال الذين يغتصبون النساء وهنّ مقيدات بالسلاسل في السجون. أنا لست مثلك بالطبع. أنا الأحمق، الصفراوي، الضعيف مثل إمرأة شمطاء متسامحة، أنا الذي كنت أدافع عن ابن زنا مثلك، عن الذي اغتصب زوجتي وحطم حياتها.

والآن، هيا أخبرني، كم مرة مارست معها؟ كم مرة، يا ابن الزنا كم، تكلم؟

روبيرتو: جيراردو، أنا.. أنا.. جيراردو..

جيراردو: جيراردو الأحمق الصفراوي، الضعيف، العجوز الشمطاء المتسامحة قد انتهى والآن، أمامك جيراردو آخر. نعم. العين بالعين والسن بالسن. أليس كذلك؟ العين بالعين والسن بالسن، ألست هذه فلسفتنا؟

روبيرتو: إيسكوبار، أنا كنت أمزح، إنها مجرد..

جيراردو: لكنني مع ذلك لن أفعلها أيها ال.. لماذا ألوّث يدي بقذارة مثلك، طالما هناك من ينتظر هذه اللحظة بلهفة لكي يشبع رغبته. أحد ما سيستمتع أكثر بوجعك وبموتك؟

لماذا أحرم باولينا من هذه الفرصة؟ سأناديها الآن حالاً، كي تفجِّر رأسك..

روبيرتو: كلا، أرجوك، لا تذهب، لا تنادها، أنا خائف.

(وقفة قصيرة)

جيراردو: (يستدير نحوه، مغيراً نبراته)... أنا أيضاً.

روبيرتو: لا تدعها تقتلني. (وقفة قصيرة) ماذا ستقول لها؟

جيراردو: سأقول لها الحقيقة. سأقول لها أنك لا تريد أن تتعاون.

روبيرتو: إيسكوبار، أرجو أن تسمعني جيداً. أنا أريد فقط أن أعرف ما الذي فعلته أنا مع زوجتك، كي أعرف بماذا سأعترف. لو أنني كنت ذلك الرجل، فإنني حتماً سأكون عارفاً بكل

التفاصيل، لكنّني لا أعرف أيّ شيء. لذا فإنّني لو أخطأت، فستظن أنّني... جيراردو، أنا بحاجة إلى مساعدتك، عليك أن تسرد لي كل التفاصيل لكي أستطيع أن ألفِّق الموضوع، منطلقاً مما سترويه أنت لي.

جيراردو: هل تطلب مني أن أخدع زوجتي؟

روبيرتو: كلا. أنا أطلب منك أن تنقذ حياة إنسان بريء يا سيد إيسكوبار.

هل تؤمن بأنّني بريء، أم لا؟

جيراردو: وهل يهمّك ذلك كثيراً؟

روبيرتو: بالطبع. أنت صوت الحضارة والمدنية، أما زوجتك فهي ليست كذلك.

إنها ليست عضواً بارزاً في لجنة التحقيق التي سَنَّها الرئيس، مثلما أنت.

جيراردو: (بحزن ومرارة) وأنت، أنت، من أعطاك الحق أن تقيم زوجتي، أو تعرف بماذا هي تفكّر.. (يستعد للخروج)

روبيرتو: إنتظر. إنتظر. إلى أين أنت ذاهب؟ ماذا ستقول لها؟

جيراردو: سأقول لها إنك بحاجة إلى أن تتبوّل.

(تنطفئ الإنارة)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(الوقت قبيل المساء. باولينا وجيراردو يجلسان في الشرفة، بمواجهة البحر. أما روبيرتو فلا يزال في الداخل مربوطاً إلى الكرسي. جيراردو يضع جهاز التسجيل في حضنه)

باولينا: أنا لا أفهم لماذا؟

جيراردو: يجب أن أعرف.

باولينا: لماذا؟

(وقفة قصيرة)

جيراردو: باولينا، أنا أحبك. إنني بحاجة لسماع ذلك من فمك. ليس من العدل بعد كل هذه السنين، أن أسمع من هذا الرجل أنّه هو الذي..

باولينا، هذا شيء لا يُحتمل.

باولينا: وهل كنت ستتحمّل، لو أنني أخبرتك بذلك؟

جيراردو: أهون عليّ بكثير من سماعه منه أولاً.

باولينا: جيراردو، لقد أخبرتك بذلك سابقاً، ألم يكن ذلك كافياً؟

جيراردو: باولينا، كان ذلك قبل خمسة عشر عاماً، أتتذكّر حين بدأت تروين لي ما حدث لك، لكنّك..

باولينا: وهل كنت تتوقّع منّي الاستمرار في أن أروي لك ما حدث لي، بحضور تلك المومس التي كانت معك تلك الليلة؟

أتذكر، كيف خرجت من غرفة نومك، نصف عارية، وهي تسألك بأنّك أطلت الحديث معي، وتتوقّع مني يا جيراردو أن..

جيراردو: لم تكن تلك المرأة مومساً.

باولينا: هل كانت تعرف شيئاً عني أو أين كنت؟ بالطبع تعرف. تلك المومس.

جيراردو: باولينا، هل سنبدأ الحديث عن هذا الموضوع مرّة أخرى؟

باولينا: أنت الذي بدأت.

جيراردو: كم مرة يجب عليّ أن...؟ لقد بحثت عنك كثيراً وفي كل مكان.

شهران وأنا أبحث عنك، من دون جدوى. وبعدها، جاءت تلك المرأة لزيارتي، وأخبرتني أن بإمكانها مساعدتي بذلك. شربنا كأسين، لا غير. يا إلهي، باولينا، أنا أيضاً إنسان.

باولينا: وأنا؟. أنا.. أنا التي حفظت لك حياتك وخبّأت اسمك عميقاً، عميقاً هنا (تشير إلى صدرها) ولم يتفوّه به فمي أبداً. لقد حميتك منهم جيراردو. إسأله، إسأل ميراندا هذا، إن كنت قد همست حتى بحرف واحد من اسمك، بينما كنت أنت..

جيراردو: لقد عفوت عني حينها باولينا، عفوت عني. كم مرة علينا أن نعيد هذا الموضوع؟ باولينا، سيسحقنا ذلك الماضي، ستبيدنا الأوجاع والأحقاد، فلنَنتهِ من كلّ هذا، أرجوك. دعينا نكفّ عن الحديث عن تلك السنوات الغابرة. دعينا نغلق هذا

الكتاب مرة وإلى الأبد، ولن نتحدّث عنه مرّة أخرى أبداً، أبداً، أبداً.

باولينا: التسامح والنسيان، هه؟

جيراردو: التسامح نعم، أما النسيان فلا. باولينا، علينا أن نتسامح لكي نبدأ من جديد. ما زال في الحياة الشيء الكثير الذي يستحق أن نحيا من أجله.

باولينا: وماذا كنت تريد مني حينها أن أفعل، هه، أن أتحدث أمامها؟ أن أخبرك بما فعلوه بي، وأمامها جيراردو، في أنني..؟ والآن، أخبرني، كم مرة؟

جيراردو: لم أفهم. كم مرة! ماذا تقصدين؟

باولينا: كم مرة نمت معها؟

جيراردو: باولينا...

باولينا: كم مرة؟

جيراردو: حبيبتي..

باولينا: كم مرة مارستما الحب؟ كم مرة، كم مرة؟ قل لي، أقول لك.

جيراردو: (يهزّها، ثم يأخذها بين ذراعيه) باولينا، هل تريدين تحطيمي؟

قولي، أهذا ما تريدينه؟

باولينا: كلا.

جيراردو: نعم، هذا هو بالضبط ما تريدينه. أن أضع حدّاً لحياتي. أهذا ما تريدينه؟

باولينا: أريد أن أعرف عدد المرات التي نمت فيها مع تلك المومس؟

جيراردو: باولينا، أرجوك أن لا تتحدّثي معي بهذه الطريقة..

باولينا: لم تكن الليلة الأولى، أليس كذلك؟ كنت قد، رأيتها قبل ذلك، ها..؟

قل الحقيقة، الحقيقة جيراردو.

جيراردو: من الممكن أن يموت الناس إذا تناولوا جرعات مفرطة من الحقيقة. هل تعرفين ذلك.

باولينا: كم مرة، جيراردو، أخبرني، هيا، قل لي.

جيراردو: حسناً، مرتين.

باولينا: تلك الليلة. والليلة التي قبلها؟

جيراردو: (بنبرة واطئة جداً) ثلاث مرات.

باولينا: ماذا؟

جيراردو: (يرفع صوته) ثلاث مرات.

باولينا: آه.. وكيف؟.. هل أعجبتك؟ وأنت.. هل أعجبتها، هه؟.. هل استمتعت معها؟ مؤكد أنها كانت مستمتعة، وإلا لما عادت إليك في تلك الليلة، هه؟

جيراردو: باولينا، هل تعرفين ما تفعلينه الآن بي؟

باولينا: الحالات الميؤوس منها، والمتعذر علاجها.. هه؟

جيراردو: (يائسا) ماذا تريدين مني أكثر من ذلك؟ الديكتاتورية ما زالت على قيد الحياة، ونحن ما زلنا أحياء، ونحن ما زلنا أحياء، والآن سنفعل ببعضنا البعض، ما لم يستطع أن يفعله بنا

الفاشيست أنفسهم. أهذا ما تريدينه؟

باولينا: (بهدوء) كلا.

جيراردو: هل تريدينني أن أغادر؟ أهذا هو ما تريدينه؟ هل تريدينني أن أخرج ولن أعود أبداً؟ يا إلهي، باولينا، قولي لي، أهذا ما تريدينه؟

باولينا: كلا.

جيراردو: هذا ما سيحصل.

(وقفة قصيرة)

أنا بين يديك مثل طفل، دون حماية. أنا عارٍ أمامك، مثل اليوم الذي ولدت فيه.

باولينا، أنت تريدين أن تعاملينني مثل معاملتك لهذا الرجل..

باولينا: كلا.

جيراردو: هل تريدين منّي أن...؟

باولينا: (تهمس) أريدك أنت جيراردو. أريدك حيّاً هنا في أعماقي. أريد أن أمارس معك الحب دون أشباح تشاركنا السرير.

أريدك أن تكون في لجنة التحقيق، صوتاً مدافعاً عن الحقيقة. أريدك، أريدك، أريدك أن تسبح في الهواء الذي أتنفّسه، أريدك نغمة وسط أنغام شوبرت، كي أبدأ سماعها من جديد.

جيراردو: أجل، أجل باولينا، أجل.

باولينا: وأريد جيراردو أن نتبنّى طفلاً، وأريد، ماذا أريد.. أريد أن

أعتني بك، كل ثانية، كل دقيقة، مثلما اعتنيت بي بعد تلك الليلة، جيراردو..

جيراردو: دون ذكر تلك الليلة، دون ذكر تلك المومس.. أرجوك..

باولينا: حسناً، حسناً.

جيراردو: هل ستقولين لي كل شيء؟

باولينا: أجل.

جيراردو: كل شيء؟

باولينا: كل شيء.

جيراردو: وهذه هي الطريقة التي ستخرجنا من مأزقنا..
شرط أن لا نخفي شيئاً عن بعضنا البعض، باولينا.

باولينا: أجل جيراردو.

جيراردو: سأفتح جهاز التسجيل، هه، هل يزعجك ذلك؟

باولينا: كلا.

جيراردو: (يبدأ في تشغيل جهاز التسجيل) باولينا، تخيّلي نفسك الآن وأنت تجلسين أمام لجنة التحقيق.

باولينا: ولكن، كيف سأبدأ، لا أعرف من أين أبدأ.

جيراردو: ابدئي بذكر اسمك.

باولينا: إسمي قبل الزواج هو سالاس، باولينا سالاس.
أنا متزوّجة الآن من جيراردو، المحامي جيراردو إسكوبار.
لكنّني كنت في ذلك الوقت..

جيراردو: التاريخ، التاريخ..

باولينا: في السادس من أبريل عام ١٩٧٥ كنت ما زلت عزباء. كنت، كنت، كنت أسير في شارع أنتونيو..

جيراردو: كوني دقيقة قدر ما تستطيعين.

باولينا: كان الوقت حوالي الساعة الثانية بعد الظهر. وعندما وصلت إلى ركن شارع هيرفاناس، سمعت صوت سيارة تتوقّف خلفي وخرج منها فجأة ثلاثة رجال. تقدّم أحدهم نحوي وغرز مسدسه في ظهري ".. كلمة واحدة ونفصل رأسك عن جسدك، أيّتها الآنسة." هكذا بصق كلماته في أذني، وكانت تخرج من فمه رائحة ثوم، حتى أنني دهشت حينها، لماذا كان عليّ في لحظة مرعبة كهذه أن أركّز على تفصيلات تافهة كهذه، كنت أفكِّر مثلاً بنوع الغداء الذي تناوله، أو كيف استطاعت أسنانه ومعدته وأمعاؤه هضم ذلك الطعام!! نعم، تلك الأشياء التي كنت قد درستها في علم التشريح.

بعدها أنَّبت نفسي كثيراً، لأنني أضعت الفرصة في إنقاذ نفسي. كان لديّ الوقت الكثير لأفكِّر في إنقاذ نفسي. كان عليّ مثلاً أن أصرخ، لماذا لم أصرخ. كنت أعرف جيداً أن على الواحد حين يجد نفسه في وضعه كهذا عليه أن يصرخ، أن يعلن عن اسمه بصوت عال كي يسمعه الناس ويعرفون اسمه، كان عليّ أن أصرخ "أنا اسمي باولينا سالاس، هيه، إن رجال الأمن يختطفونني". إذا لم تصرخ في اللحظة الأولى، فإنك ستسقط فوراً في المصيدة. لم أصرخ،

واستسلمت لهم بيُسْر. نعم، أذعنت لهم في الحال، من دون أيّ مقاومة. هكذا كنت دائماً، طوال حياتي، مذعنة ومطيعة بشكل لا يوصف.

(تخفت الإنارة بشكل تدريجي)

لم يكن الدكتور ميراندا يومها بينهم. لقد قابلته فيما بعد، وللمرّة الأولى، بعد ثلاثة أيام حين... نعم، قابلت الدكتور ميراندا.

(تخفت الإنارة تدريجياً، فيما صوت باولينا يستمر وسط الظلام. كل شيء يغرق في العتمة، وغدا شعاع من ضوء القمر ينير جهاز التسجيل)

في البدء، ظننت أنه يريد إنقاذي. كان رجلاً رقيقاً ولطيفاً جداً، مقارنة بما فعله الآخرون بي. بعدها، فجأة سمعت رباعية شوبرت. ليست لديّ القدرة حقاً أن أصف مغزى أن تسمع هذه الموسيقى الرائعة في تلك العتمة، وأنت لم تتذوّق الطعام لثلاثة أيام، وجسدك محطم، وأنت..

(نسمع صوت روبيرتو وسط الظلام يتداخل مع صوت باولينا، وفي الخلفية نسمع الحركة الثانية من رباعية "الموت والعذراء"...)

صوت روبيرتو: كنت أسمعهم هذه الموسيقى لأنّها تساعدني على القيام بدوري، دور الإنسان الطيب، كما يسمّونه. كنت أُسمعهم موسيقى شوبرت، لأنّها كانت الأسلوب الناجح

لكسب ثقتهم، وكما أعرف أنّه أسلوب للتخفيف عن معاناتهم، صدّقوني أنّه كان أسلوباً للتخفيف عن معاناة السجناء، ليست الموسيقى فقط، بل أيّ شيء كنت أقوم به. وهكذا، شيئاً فشيئاً، ابتدأوا يتقرّبون منّي.

(تتسع الإنارة كما لو أنّ القمر قد خرج من وراء السحب. روبيرتو أمام جهاز التسجيل، وهو يقدم اعترافاته. موسيقى شوبرت تتضاءل تدريجياً)

كان السجناء يموتون بين أيديهم، قالوا لي إنّهم بحاجة إلى أحد ما يعتني بهم، شخص ما يثقون به. كان لي أخ يعمل عضواً في جهاز الأمن قال لي ذات مساء: "عليك أن تثأر لأبي. عليك أن تنتقم من الشيوعيين عقاباً لهم على ما فعلوه به".

كان والدي قد أصيب بالجلطة القلبية في نفس اليوم الذي استولى فيه الفلاحون على أرضه في لاس تولتيكاس، أودت به إلى الشلل التام، وفقدانه القدرة على النطق. كان ينفق الساعات الطويلة وهو يتطلّع إليّ وعيناه تقولان: "يجب أن تفعل شيئاً".

الحقيقة، إنني وافقت على قبول هذه المهمّة لأسباب إنسانية. كنّا في حالة حرب، واعتقدت أنّهم يريدون قتلي وقتل عائلتي، ويريدون أن يقيموا نظاماً ديكتاتورياً توليتارياً، لكن مع ذلك، كانوا بحاجة إلى بعض الخدمات الطبية. لقد

تطلّب منّي وقتاً طويلاً كي أدرك، كيف أنني أصبحت شيئاً فشيئاً ملتزماً بالقيام بأكثر العمليات حساسية ودقة. لقد سمحوا لي أن أحضر جلسات التعذيب، نعم. وكانت مهمَّتي هي أن أقرّر مدى ما يحتمله السجناء من التعذيب، وخصوصاً الصدمات الكهربائية.

في البداية، قلت لنفسي، إنّها فرصة لإنقاذ حياة الناس، وفعلت ذلك حقاً. لقد أخبرتهم أكثر من مرّة وأثناء التعذيب، أنّهم إذا لم يتوقّفوا عن ذلك فسيموت السجين بين أيديهم، علماً أن ذلك لم يكن صحيحاً، لكنني كنت أفعل ذلك كي أنقذ حياتهم. لكن بعد ذلك، بدأت تلك الفضيلة التي كنت أحسّ بها نحوهم، تتحوّل شيئاً فشيئاً إلى نوع من الإثارة، إلى نوع من الهياج، فبدأ يسقط قناع الفضيلة شيئاً فشيئاً، وبدأت تلك الإثارة وذلك الهياج يحجبان عنّي كل ما كنت أفعله، وأنا أغرق شيئاً فشيئاً في ذلك المستنقع. فحين جلبوا باولينا سالاس كان قد فات الأوان.

(تبدأ الإضاءة بالخفوت ببطء)

روبيرتو: نعم، فات الأوان. لقد تقمّصتني حالة من الوحشية، حالة من البهيمية، هيمنت على كياني، وبدأت حقاً أستمتع بالفعل الذي كنت أمارسه. لقد أصبح الأمر بالنسبة لي شيئاً أشبه باللعبة. كان لبحثي وتحقيقاتي وجهان.. أحدهما مرضي والآخر علمي. فمثلاً، كم تستطيع أن تحتمل هذه المرأة؟ هل

باستطاعتها أن تحتمل أكثر من الأخريات؟ ماذا بشأن وضعها الجنسي؟ هل ستتضب طاقتها الجنسية حين يتعرّض جسدها إلى التيار الكهربائي؟ هل بإمكانها أن تصل إلى رعشة الجماع تحت تلك الظروف؟

"إنها تحت سيطرتك تماماً، يمكنك أن تفعل بها أي شيء يخطر في مخيلتك، يمكنك أن تفعل معها ما تشاء.

(الإنارة تستمر في الخفوت، وصوت روبيرتو يسمع وسط ظلام جزئي. شعاع ضوء القمر ما زال مسلطاً على جهاز التسجيل)

يمكنك أن تفعل أي شيء كان محظوراً عليك من قبل، أي شيء كانت تهمس به والدتك في أذنك بإلحاح ألا تفعله أبداً. يمكنك أن تبدأ الآن معها، هيا، أو مع أي وحدة منهن. هيا، دكتور، هيا. لا تقل لي إنك سترفض كل هذا اللحم الطازج "هكذا قال لي أحدهم ساخراً مني، إسمه، إسمه، كانوا يسمونه ستاد، نعم، تلك كانت كنيته، ولم أستطع أن أعرف إسمه الحقيقي أبداً. "إنهن يحببن ذلك، دكتور" كان يقول لي ستاد "كل هؤلاء العاهرات يحببن ذلك، أما إذا أسمعتهن موسيقاك الشجيّة هذه، فسيشعرن بالدفء أكثر".

كان يقول لي ذلك أمامهن، أمام باولينا سالاس، نعم، أمامها كان يقول لي ذلك.

وفي الآخر، أنا، في الآخر لم يمت أحد منهم مطلقاً بين

يدي، لا رجل، ولا امرأة.

(تتصاعد الإنارة، ويحلّ الفجر. روبيرتو وهو مطلق الذراعين، يدوِّن على الورق حديثه الشخصي المسجّل على شريط الكاسيت، وأمامه تكدَّست مجموعة من الأوراق مدوَّنة بخطِّ يده. باولينا وجيراردو يراقبانه)

صوت روبيرتو: (صوته يسمع من خلال جهاز التسجيل) بقدر ما أتذكر، أنني كنت قد اشتركت في التحقيق مع أربعة وتسعين سجيناً، من ضمنهم باولينا سالاس. هذا كلّ ما أستطيع قوله. وأنا أطلب العفو.

(جيراردو يطفئ جهاز التسجيل فيما روبيرتو يكتب)

روبيرتو: .. العفو.

(جيراردو يفتح جهاز التسجيل ثانية)

صوت روبيرتو: آمل أن يكون هذا الاعتراف دليلاً على إحساسي المطلق بالتوبة والندم وآمل أيضاً أن تتوصل البلاد إلى تحقيق روح المصالحة والوئام...

(جيراردو يطفئ جهاز التسجيل)

جيراردو: هل كتبت ذلك؟.. "وآمل أيضاً أن تتوصل البلاد إلى روح المصالحة والوئام.."؟

(يضغط جيراردو زر تشغيل جهاز التسجيل ثانية)

صوت روبيرتو: كذلك أحسّ أنّ من الصعوبة أن أعيش بقية عمري وأنا أحمل هذا السر المريع في أعماقي، فليس هناك عقاب

أشد إيلاماً من ذلك العقاب الذي يفرضه علي صوت الضمير.

روبيرتو: (وهو يكتب).. عقاب.. الضمير.

(جيراردو يطفئ جهاز التسجيل، يتبع ذلك لحظة صمت)

والآن، ماذا بعد؟ هل تريدين مني أن أوقّع.

باولينا: أولاً، أكتب أن كل ما قلته كان بمحض إرادتك، من دون أن يمارس عليك أحد أي نوع من الضغط أو الإكراه..

روبيرتو: هذا غير صحيح.

باولينا: دكتور، هل تريد أن نمارس عليك إذاً ضغطاً أو إكراهاً. هه؟

(روبيرتو يدوِّن عدّة جمل، ويعرضها على جيراردو، الذي يبدأ بهزِّ رأسه بالإيجاب.

يوقِّع روبرت على الورق. تتطلّع باولينا إلى التوقيع، ثم تقوم بجمع الأوراق. تُخرج شريط الكاسيت من جهاز التسجيل، ثم تضع شريطاً آخر، وتضغط زر التشغيل. نسمع ثانية جزءاً من اعترافات روبيرتو)

صوت روبيرتو: (من الشريط) كنت أُسمعهم هذه الموسيقى لأنّها تساعدني على القيام بدوري، دور الإنسان الطيِّب، كما يسمّونه. كنت أسمعهم موسيقى شوبرت، لأنها كانت الأسلوب الناجح لكسب ثقتهم. وكما أعرف، إنها كانت أسلوباً للتخفيف عن معاناتهم.

جيراردو: باولينا، يكفي ذلك. إنتهينا.

صـــــــوت (من الشريط) صدقوني، إنها كانت أسلوباً للتخفيف عن معاناة السجناء.

روبيرتو:

جيراردو: (يغلق جهاز التسجيل) قلت يكفي.

باولينا: حسناً، انتهينا.

جيراردو: والآن، ألا تظنين أنه حان الوقت لكي..

باولينا: حسناً، عرفت. بيننا إتفاق.

(تذهب إلى النافذة المطلَّة على البحر، تأخذ نفساً عميقاً من هواء البحر).

تخيّل أنّني أقضي الساعات الطوال هنا وقت الفجر أتطلّع صوب البحر، أحاول رؤية وسماع تلك الأشياء المنسيّة التي تركناها خلفنا وهي تنبثق من بين مد البحر وجزره. طوال الليل وأنا أحدِّق في تلك الأشباح وأتساءل، ترى ماذا لو بُعثت ثانية من الأعماق وقذفها البحر نحو الشاطئ. والآن. والآن..

جيراردو: باولينا!

باولينا: (تستدير نحوه بشكل مفاجئ) أنا سعيدة جداً أن أراك ما زلت رجلاً ذا مبادئ. آمل أن أكون قد أقنعتك الآن جيراردو، بأنه مذنب فعلاً. وعليّ الآن أيضاً أن أمنعك من محاولة قتله.

جيراردو: لن ألوِّث يدي بهذه النفاية.

باولينا: (ترمي له مفاتيح سيارة روبيرتو) حسناً جيراردو، إذهب الآن وخذ سيارته.

(وقفة قصيرة)

جيراردو: أذهب؟ وهل أستطيع أن أتركه وحيداً معك؟

باولينا: نعم جيراردو.

جيراردو: حسناً، حسناً، سأذهب لأخذ السيارة.. باولينا، كوني حذرة.

باولينا: إحذر أنت أيضاً.

(جيراردو يتجه صوب الباب)

أوه، لا تنسَ أن تعيد له رافعته.

جيراردو: (محاولاً الآبتسام) ولا تنسي أن تعيدي له شريط شوبرت، فلدينا واحد مثله. (يخرج)

روبيرتو: عفواً، أريد الذهاب إلى الحمام. أظن أنه لم يعد ثمة سبب يدعوك أن تستمري في مرافقتي. أليس كذلك؟

باولينا: لا تتحرّك، دكتور. ما زال هناك شيء، شيء صغير جداً لم يحسم بعد.

(وقفة قصيرة)

سيكون هذا اليوم جميلاً بشكل لا يصدق. لكن هناك شيئاً واحداً ينقصه فقط، دكتور. شيء واحد عليّ القيام به حالاً كي أجعل من هذا اليوم يوماً رائعاً حقاً. وهذا الشيء..

(وقفة قصيرة)

هو أن أقتلك. بعدها، أستطيع أن أستمع إلى موسيقاري المفضَّل شوبرت، باطمئنان، دون شكوك تراودني بأنك مازلت حياً وجالساً أيضاً في مكان ما تستمع إليه، لتفسد

عليّ يومي، وتلوّث موسيقاري، وتشوّه سمعة بلدي وزوجي.
هذا هو ما أحتاج إليه...

روبيرتو: أيّتها السيدة، زوجك غادر المنزل واثقاً أنك أعطيت له كلمة..

باولينا: نعم. لكنّني حين أعطيت له كلمتي، كنت ما أزال لديّ بعض الشك، قليل من الشك، بأن من الممكن أن لا تكون أنت حقاً ذلك الرجل. وجيراردو كان على حق حين طالبني بدليل، ودليل قوي يثبت إتهامك. وأعترف الآن أنني كنت مخطئة وهو على صواب. لكنني حين استمعت إلى اعترافاتك، دكتور ميراندا، تلاشت كل شكوكي.
والآن وقد عرفت أنك ذلك الرجل، فلا يمكنني في هذا الحال، أن أعيش في سلام مع نفسي، وأنت ما زلت حياً.
(تصوب المسدس نحوه)
والآن، أمامك دقيقة واحدة فقط، لتطلب المغفرة من السماء، دكتور.

روبيرتو: (ينهض ببطء) لا تقتليني أرجوك. إنني بريء.

باولينا: لقد اعترفت.

روبيرتو: الاعتراف، أيتها السيدة، الاعتراف كان ملفّقاً.

باولينا: ماذا تعني ملفَّقاً؟

روبيرتو: لفَّقته. لفَّقناه نحن الإثنان.

باولينا: على العكس، لقد بدا لي صادقاً جداً وحقيقياً، دكتور ميراندا.

وكان مؤلماً بشكل قاس، قدر تعلقه بي..

روبيرتو: زوجك هو الذي قال لي ماذا أكتب. صحيح أنني لفَّقت قسماً منه، نعم، قسم منه أنا الذي لفَّقته. إلا أنّ معظم ما جاء فيه كان مصدره أنت، ما رويته أنت لزوجك عما حدث لك. لذا أرجوك أن تدعيني أخرج. زوجك هو الذي أقنعني أن هذه هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ حياتي، وقد وافقته على مضض..

يجب أن تعرفي أيّتها السيدة، كيف أننا، وتحت فعل الضغط والتهديد، يمكن أن نقول أي شيء، لكن صدِّقيني أنا بريء، سيدة إيسكوبار، الله الذي في السموات يعرف أنني..

باولينا: لا تذكر اسم الله لأنّك لا تؤمن بوجوده أصلاً، دكتور. والآن من هو ستاد..

دكتور..؟

روبيرتو: ماذا؟

باولينا: لقد ذكرت هذا الإسم مرات عديدة في اعترافاتك. إسمه يوحي بأنّه كان رجلاً ضخماً، مفتول العضلات، هه؟ يقلِّم أظافره بأسنانه، صح؟ ذلك المتوحش، كان يقرض أظافره بأنيابه. هه، ستاد.

روبيرتو: أنا لا أعرف ولم ألتقِ بشخص كهذا الذي تصفينه. زوجك هو الذي أعطاني اسمه، وكلّ شيء قلته جاء بمساعدة منه، وهو الذي اخترع هذه القصة. إسأليه حين يعود.

باولينا: لست بحاجة أن أسأله. كنت أعرف أنه سيفعل ذلك. أعرف أنـه سيسـتخدم كلمـاتي لتكـون مـادة لإعترافـك. هـذا هـو جيراردو، أعرفه جيداً. هو دائماً يعتقد أنه أكثر ثقافة من الآخرين. ودائماً تساوره فكرة أن عليه أن ينقذ أحداً ما. أنا لا ألومـه، دكتـور. لهـذا السـبب أنـا أحبـه. نحـن نكـذب علـى بعضنا البعض. هو يخدعني من أجلي، وأنا أخدعه من أجله. لعبة. لكنني أنا التي فزت هذه المرة في هذه اللعبة. لقد أعطيته اسماً آخر، ليس الإسم الصحيح، وكان ذلك عن قصد، نعم، كي أرى إن كنت ستقوم بتصحيحه، وقمت فعلاً بذلك. لقد صححت الإسم باد، واستبدلته بالاسم الصحيح ستاد. فلو كنت حقاً بريئاً يا دكتور...

روبيرتو: قلت لك إن زوجك هو الذي.. إسمعي، أرجوك أن تسمعي. كان عليه هو أن يفكر أن ستاد كان هو إسم الرجل الذي يشبه إسم ذلك الذي.. لا أعرف لماذا ذكر ذلك.. إسأليه. وجِّهي هذا السؤال لزوجك.

باولينا: لم يكن هو الخطأ الوحيد الذي قمت بتصحيحه، دكتور. هناك أكاذيب أخرى..

روبيرتو: أكاذيب؟ أيّ أكاذيب؟

باولينا: أكاذيب صغيرة، اختلافات طفيفة، كنت قد أقحمتها أنا في قصتي التي رويتها لجيراردو، لكنّك لم تصححها كلّها، بل البعض منها، كما في حالة ستاد. وجاءت النتيجة مطابقة

تماماً لخطتي. لقد كنت خائفاً جداً، مرتبكاً وقلقاً، دكتور، خشية أن تلفظ الإسم بشكل صحيح، لكن، وبسبب خوفك وقلقك، لفظت الإسم الصحيح، ستاد!.. والآن، عليك أن تسمعني جيداً. سوف أقوم بقتلك ليس لأنّك المذنب، بل لأنك لم تشعر بالندم مطلقاً. بوسعي أن أعفو عن الإنسان الذي آذاني فقط حين يشعر حقاً بالأسف والندم، إنسان يقف وسط أولئك الذين أجرَم في حقِّهم، ويقولها بوضوح وصوت عال، أنا فعلت ذلك، أنا فعلت ذلك، ولن أفعل ذلك مرّة أخرى أبداً.

روبيرتو: ماذا تريدين منّي أكثر من ذلك؟ لقد انتزعت منّي ما لا يستطيع ضحايا هذا البلد كلّه الحصول عليه. (يركع على ركبتيه)

باولينا: أريد الحقيقة، دكتور. الحقيقة، وسأدعك تخرج من هنا حالاً. أن تشعر بالندم، وسأطلق سراحك. أمامك عشر ثوان. واحد، إثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة. الوقت بدأ ينفد. سبعة. هيا تكلّم.

(روبيرتو ينهض من مكانه)

روبيرتو: كلا لن أفعل. لأنّني حتى لو اعترفت، فإنك لن تقتنعي مطلقاً، وستقتلينني في كل الأحوال. إذاً بإمكانك أن تقتليني الآن، وفي هذه اللحظة. إنني لن أسمح لامرأة مريضة مثلك، أن تعاملني بهذه الطريقة. إذا كنت تريدين قتلي،

فأقتليني. لكنني يجب أن أقول لك بأنك تقتلين رجلاً بريئاً.

باولينا: ثمانية.

روبيرتو: أيّتها السيدة، بالأمس عاملك شخص ما ببشاعة وقسوة، واليوم أنت تمارسين نفس الشيء معي، وغداً سيفعل الشيء نفسه شخص آخر، وهكذا ستستمر دورة العنف وتتواصل دون توقف. أنا لدي أبناء، أيتها السيدة، ولدان وبنت. هل يجب عليهم أن ينفقوا الخمس عشرة سنة القادمة بحثاً عنك لحين عثورهم عليك؟ وبعد ذلك..

باولينا: تسعة.

روبيرتو: أوه باولينا، ألم يحن الوقت لكي نتوقف عن ذلك؟

باولينا: ولماذا يجب على أناس من أمثالي أن يكونوا دائماً هم الضحايا؟ لماذا يجب على أناس من أمثالي دائماً أن يقدموا تنازلات، في وقت يجب أن يمنحوا تعويضات، معنوية على الأقل، لقاء خساراتهم؟ لماذا يجب على واحدة مثلي أن تبتلع لسانها وتصمت، لماذا؟ كلا. هذه المرة لا. أنا التي سأعتني بنفسي، وأنا التي من سيقرر ما أريد. ما الذي سنخسره، لو أننا طبّقنا العدالة في قضية واحدة، قضية واحدة فقط؟ ماذا سنخسر لو أنّنا قتلنا واحداً منهم؟ ماذا سنخسر؟ ماذا سنخسر؟

(يتجمّد الاثنان في مكانهما، وتبدأ الإنارة بالخفوت التدريجي. تتصاعد موسيقى الحركة الأخيرة لرباعية موتسارت

"Dissonant Quartet" مرآة على شكل ستارة تهبط من الأعلى تحجب باولينا وروبيرتو عن المشاهدين، تدفع البعض منهم إلى النظر للحظات إلى صورهم المعكوسة في المرآة.

موسيقى رباعية موتسارت تستمر لدقائق، فيما المشاهدون يتطلّعون نحو صورهم المعكوسة في المرآة. ثمة أكثر من دائرة ضوئية تكتسح صفوف المشاهدين ببطء داخل القاعة).

المشهد الثاني

(بعد مرور ثلاثة شهور. قاعة حفل موسيقية. جيراردو وباولينا يرتديان ملابس سهرة أنيقة، يجلسان في مواجهة المرآة، وظهرهما إلى الجمهور "من الممكن أن يجلسا على كرسيين أو مقعدين في قاعة العرض نفسها". يمكننا سماع أصوات الجمهور في القاعة أثناء العزف الموسيقي: سعال عرضي متقطع، صوت تقليب صفحات نوتات برنامج الحفل الموسيقي، بل يمكننا حتى سماع تنفساً ثقيلاً.

حين تنتهي الموسيقى يبدأ جيراردو بالتصفيق، ويتعالى التصفيق تدريجياً ويزداد من قبل جمهور غير مرئي. باولينا لا تصفِّق. يخفت التصفيق تدريجياً، ثم نسمع أصوات الناس الاعتيادية في قاعة الحفل حين ينتهي الجزء الأوّل من البرنامج. نسمع نحنحات حناجر، لغط، جمهور ينتقل إلى بهو متخيل. باولينا وجيراردو يخرجان، ويقومان بتحية الناس، ويتوقفان للتحدث معهم للحظات. يبتعدان ببطء عن مقعديهما، ويتقدّمان باتجاه البهو المتخيل والذي يبدو محتشداً بالجمهور، حيث يمكن سماع همهماتهم. جيراردو يبدأ بالتحدّث مع عدد من الحضور، ويمكن سماع كلماته

وسط اللغط العام).

جيراردو: (يتكلم بحميمية إلى جمهور متنوِّع) شكراً، شكراً جزيلاً... نعم، أنا متعب قليلاً، لكن تقرير لجنة التحقيق يستحق فعلاً هذا الجهد... نعم، مؤكد، نحن مسرورون جداً بالتقرير النهائي للجنة التحقيق. إنّه رائع جداً. إنه في صالح الجميع.. نعم، المصالحة الوطنية وتسوية الخلافات، جميع الخلافات..

(تغادره باولينا ببطء متجهة صوب بار صغير، فيما يستأنف هو حديثه مع الناس)

الحقيقة إن الناس يتمتّعون بروح عالية من التسامح، متناسين أي شيء يتعلّق بالثأر أو الانتقامات الشخصية. حسناً، كنت أظن على الدوام، أنّ عملنا سيظهر تأثيره الإيجابي ببطء، أعني بمرور الأيام، متزامناً مع التئام الجراح، لكنني دهشت حين رأيت تأثيره الإيجابي من اليوم الأوّل لانعقاد جلسة اللجنة. فلقد حضرت إمرأة عجوز لتدلي بشهادتها وقد كانت خائفة ومتردِّدة. كان زوجها قد اختفى منذ أربعة عشر عاماً مضت، وقد أنفقت السنوات في تقديم العرائض والالتماسات، ولقد أمضت الوقت الطويل وهي في الإنتظار.

ابتدأت حديثها وهي واقفة "إجلسي أرجوك" قال لها رئيس لجنة التحقيق، وقام من مقعده وقدّم لها بنفسه مقعداً لتجلس.

وما أن جلست حتى فاضت عيناها بالدموع. وبعدها بلحظات نظرت نحونا وقالت:
"هذه هي المرّة الأولى، أيها السيد.. المرّة الأولى طوال كل هذه السنين، يطلب منّي شخص أن أجلس. إنّها المرّة الأولى أيّها السيّد".
(وفيما كانت باولينا تدفع ثمن الحلوى التي ابتاعتها من البار، يدخل روبيرتو تحت ضوء قمري كابوسي يبعث الشعور بالإغماء. "من الممكن أن يكون دخوله حقيقياً أو ممكن أن يكون وهماً من تلك الأوهام التي تعشعش في رأس باولينا".
لم تكن باولينا قد لمحته بعد.
تدق أجراس القاعة معلنة ابتداء الجزء الثاني من الحفل الموسيقي.
تعود باولينا إلى جوار جيراردو، الذي كان على وشك إنهاء حديثه تقريباً. روبيرتو يقف في الخلف وهو يراقب باولينا وجيراردو عن بعد).

جيراردو: وكذلك الحال بالنسبة لمرتكبي تلك الجرائم، فرغم أننا لا نعرف أسماءهم أو ليس بإمكاننا الكشف عنها.. آه، باولينا جئت في الوقت المحدد. حسنا سوف أراك فيما بعد أيها العجوز. الآن فقط أصبح لدي بعض الوقت. يمكنك أن تتفضل عندي في المنزل على قدح من الشراب. باولينا

شهيرة بتحضير كوكتيل المارغريتا. سيتوقف له شعر رأسك.

(يجلس جيراردو وباولينا على مقعديهما. روبيرتو يذهب إلى مقعده وهو يتطلع نحو باولينا بشكل متواصل. يتعالى التصفيق حين يتقدّم الموسيقيون. نسمع الموسيقيين وهم يضبطون آلاتهم الموسيقية. فجأة تحلّ لحظة صمت، لتبدأ بعدها رباعية شوبيرت "الموت والعذراء"..

جيراردو يلتفت نحو باولينا وهي تتطلّع إلى المسرح. يأخذ يدها ويتجه بناظريه هو الآخر نحو المسرح.

تستدير باولينا بعد لحظات ببطء لتتطلع نحو روبيرتو، الذي يبادلها نفس النظرة، فتتشابك نظرتاهما معاً للحظات. تدير باولينا رأسها باتجاه المسرح والمرآة.

تخفت الإنارة بالتدريج فيما تتصاعد الموسيقى أكثر فأكثر لحين حلول العتمة..".

النهاية

الفهرس